سيدنا أحمد بن ابراهيم النيسابوري

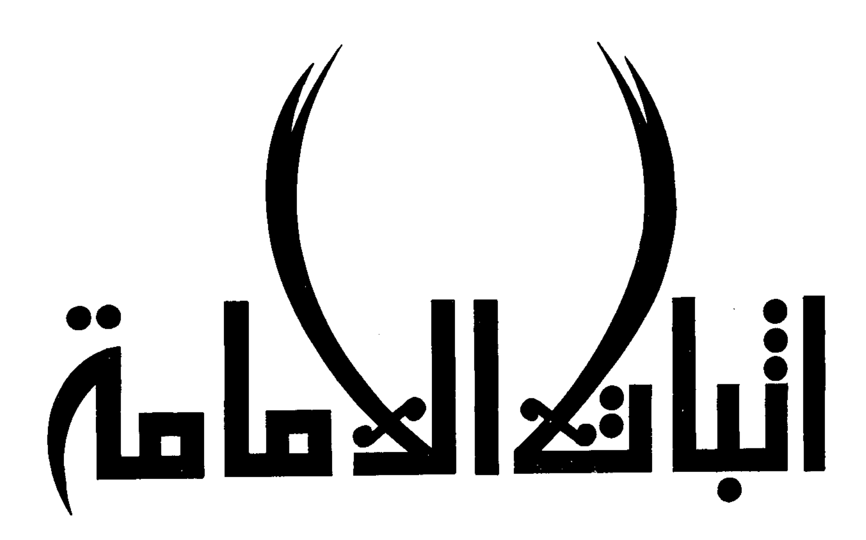
كتاب
اثبات الامامة

تحقيق وتقديم

الدكتور مصطفى غالب

دار الأندلس

سيدنا أحمد بن إبراهيم النيسابوري



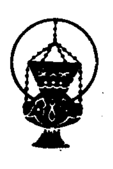
تحقيق وتقديم

الدكتور مصطفى غالب

دار الأندلس

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت
١٩٩٦م - ١٤١٦هـ



دار الأندلس
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - هاتف: ٣٠٧٣٢٧ - ٨٦٦٠٦٧ - ٨٦٦٠٧٢ - ٨٦٦٦١٨ - ٨٦٦٦١٩
ص.ب.: ١١/٤٥٥٣ - تلكس LE ٢٣٥١٦ أندلس - تلفاكس ٣١٥١٧٧ - برقياً: عاصيدلسي

الإهداء

إلى التي حببت إليَّ هذه الدراسات
وشجعتني على السير في طريقها الشائك الوعر
أهدي هذا الكتاب ذكرى إخلاص وحب ووفاء

بين يدي الكتاب

الكتاب الذي نضعه الآن في متناول أيدي الباحثين ، يعبر عن رأي أحد دعاة الإسماعيلية بالإمامة ، وهذا الموضوع كان وما زال يشكل العنصر الأهم في المعتقدات الإسماعيلية . وما دام أن الإمامة محور البحث ، فسنجعل حديثنا عنها .

إن دارس التاريخ الإسلامي يرى عند تمعنه بالوقائع أن الإمامة كانت سبب الخصومات العنيفة وتمزيق شمل المسلمين منذ البدء . فالأمة الإسلامية لم تعاني في حياتها أمراً معقداً ، ولم تسلك طريقاً وعراً بقدر ما عانته من الإمامة وتشعباتها ومشاكلها .

ولقد آلينا على أنفسنا ونحن في عصر ذابت فيه نوازع التعصب ، وانطلق الفكر الحر من القيود الدينية ، والمؤثرات العنصرية ليبني ويفعل ، ويبحث وينقب عن جوهر الوجود الذي ما زال حتى الآن محجوباً عن الأنظار . . . أجل إن رائدنا في هذه المقدمة البحث العلمي المتجرد ، وتمحيص الحقائق الناصعة التي ينشدها كل مثقف تحرر من القيود المتوارثة البالية ، والبعد عن كل ما يثير الخواطر والنزعات ، ناظرين للموضوع الذي نحن بصدده نظرة علمية بحتة ، لا مواربة فيها ولا غموض .

الشيعة والإمامة

تعتبر الإمامة المحور الذي تدور عليه عقائد الشيعة على اختلاف فرقهم ، فهي بنظرهم إحدى دعائم الدين ، فلا دين لمن لا يعتقد بإمامة الأئمة من أهل بيت الرسول (ﷺ) ويضيفون قولهم : إن الله تعالى لا يقبل عمل مسلم إذا لم يكن يؤمن بولاية الأئمة ويطيعهم كطاعته للرسول ، لأن الله تعالى قال في كتابه الكريم : ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ[1] ﴾ ويروي علماء الشيعة عن الإمام جعفر الصادق أن سائلاً سأله عن تأويل هذه الآية فكان جوابه : إيانا عنيَ بهذا ، بنا يعبد الله ، وبنا يطاع الله ، وبنا يعصى الله ، فمن أطاعنا فقد أطاع الله ، ومن عصانا فقد عصى الله[2] . وقال أيضاً : سبقت طاعتنا عزيمة من الله الى خلقه ، إنه لا يقبل عملاً من أحدٍ إلاّ بنا ، ولا يرحم أحداً إلا بنا ، ولا يعذب أحداً إلا بنا ، فنحن باب الله وحجته ، وأمناؤه على خلقه ، وحفظة سره ، ومستودع علمه ، ليس لمن منعنا حقنا في ماله نصيب[3] والشيعة مجمعون على أن الله سبحانه وتعالى قرن الأئمة بمحكم الكتاب وجعلهم قدوة لأولي الألباب ، وسفناً للنجاة ، والعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، وأماناً للأمة من الاختلاف إذا عصفت عواصف الشقاق ، وباب حطة يغفر لمن دخلها ، ويستشهدون أيضاً بأقوال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب التي تضمنتها إحدى خطبه : فأين تذهبون ، وأين تؤفكون ،

---

(١) سورة ٤/ ٥٩

(٢) دعائم الإسلام للقاضي النعمان ١/ ٣٩، بحار الأنوار ٨/ ١٦

(٣) المصدر نفسه ١/ ٧٢

والاعلام قائمة ، والآيات واضحة ، والمنار منصوبة ، فأين يتاه بكم ، بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزِمَّة الحق ، وأعلام الدين ، وألسنة الصدق ، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن ، وردوهم ورود الهيم العطاش ، أيها الناس خذوها من خاتم النبيين إنه يموت من مات منا وليس بميت ، ويبلى من بلي منا وليس ببال ، فلا تقولوا بما لا تعرفون ، فإن أكثر الحق فيما تنكرون واعذروا من لا حجة لكم عليه وأنا هو ، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر ، وركزت فيكم راية الإيمان. . .[1]

ويأتون بأقوال أخرى وردت في خطبة ثانية قال عليه السلام فيها : نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب ، ولا تؤتى البيوت إلاَّ من أبوابها ، فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً ، الى أن قال في وصف العترة : فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن ، إن نطقوا صدقوا ، وإن صمتوا لم يسبقوا ، فليصدق رائد أهله وليحضر عقله[2] وقالوا مما يأخذ بالأعناق إلى أهل البيت ، ويضطر المؤمن إلى الانقطاع عن الدين إليهم ، قول رسول اللهّ صلى اللهّ عليه وآله وسلم: «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق[3]وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة من بني اسرائيل من دخله غفر له» .[4] ويذكرون أن الغاية من تشبيه آل البيت بسفينة نوح قولهم: أن من يلجأ إليهم في الدين ويأخذ فروعه وأصوله عنهم ينجو من عذاب النار ، ومن يتخلف يكون كمن يأوي في (يوم الطوفان) إلى جبل ليقيه من أمر الله ، إلا أنه يغرق في الماء وهذا معناه الجحيم .

ولدى الشيعة عامةً نصوص وأحاديث كثيرة لا يقرها أهل السنة ، وقد جاء

---

(١) نهج البلاغة ١/ ٨٣

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٥٨

(٣) أخرجه الحاكم بالاسناد الى أبي ذر ٣/ ١٥١ في صحيحه المستدرك

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي سعد ص٢١٦ من كتابه الأربعين حديثاً

في بعضها وجوب اتباع العترة الطاهرة، وبما أن علي بن أبي طالب هو بنظرهم سيد آل البيت وإمامهم من حيث شخصيته العظيمة، وأنه ولي كل من كان رسول الله وليه. فكان لا بد من الرضوخ لما جاء في هذه الأحاديث.

ولا بد لنا ونحن في هذا الصدد من الإتيان على ذكر بيعة (غدير خم) لأن الشيعة عامة يعتقدون بأنه لمَّا دنا أجل رسول الله عليه الصلاة والسلام، ونعيت إليه نفسه، أجمع بأمر الله تعالى على المناداة بولاية علي في حجة الوداع على رؤوس الأشهاد لأنه لم يكشف حسب قولهم (بنص الدار) يوم الانذار، بمكة ولا بغيره من النصوص السرية المتوالية على إمامة علي بن أبي طالب من بعده قالوا:

أذن في الناس قبل موسم الحج وأبلغهم أنه سيحج هذا العام حجة الوداع، فوافاه الناس من كل فج عميق، وخرج من المدينة بنحو مائة ألف أو يزيدون، فلما كان يوم الموقف في عرفات نادى في الناس ونص على بيعة علي ليكون خليفة له وذلك يوم الجمعة المصادف ١٨ ذي الحجة تحت شجرات غدير خم فقال: أيها الناس يوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون، قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجاهدت ونصحت فجزاك الله خيراً، فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق، وأن ناره حق، وأن الموت حق، وأن البعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد، ثم قال: يا أيها الناس، إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه، فهذا مولاه، يعني علياً، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه؛ ثم قال: يا أيها الناس إني فرضكم، وإنكم واردون عليَّ الحوض، حوض أعرض مما بين بصرى إلى صنعاء، فيه عدد النجوم، قدحان من فضة، وإني سائلكم حين تردون عليَّ عن الثقلين، كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل، سبب طرفه بيد الله تعالى، وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به لا

تضلوا ولا تبدلوا ، وعترتي أهل بيتي ، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا عليَّ الحوض . ويوردون ما قاله الشاعر الكميت في هذا اليوم :

ويوم الدوح دوح غدير خم ... أبان له الخلافة لو أطيعا
ولكنّ الرجال تبايعوها ... فلم أر مثلها خطراً مبيعا
ولم أر مثل ذاك اليوم يوما ... ولم أر مثله حقاً أضيعا

إذن فيوم غدير خم عند الشيعة عامة عيد يحتفلون به في كل عام في مساجدهم ، يؤدون الصلاة فريضة ونافلة ، ويتلون القرآن الكريم ، والدعاء لله تعالى على إكمال الدين وإتمام النعمة بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

ويعتبر الشيعة حقَّ علي في الخلافة والإمامة بعد رسول اللهّ (ﷺ) أمراً لا اختلاف فيه كالشمس في رابعة النهار لقوله تعالى ﴿ إنَّما وَلِيُّكُمُ ٱللهُ وَرسُولُـهُ وَٱلَّذين آمَنُوا ، ٱلَّذينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، ومَنْ يَتَوَلَّ ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَٱلَّذينَ آمَنُوا فَإنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ[1] ﴾ ولقد أجمع المفسرون منهم على أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب حين تصدق راكعاً في الصلاة بخاتمه ، وقالوا إن الله تعالى قد أثبت في هذه الآية الولاية لنفسه ، ولنبيه ، ولوليه على نسق واحد ، وقالوا إن ولاية اللهّ عامة ، وولاية النبي والولي مثلها وعلى أسلوبها ، ويعتبرون أن هنالك نصوص وأدلة قاطعة ، وبراهين ساطعة على أنَّ علياً هو ولي عهد النبي وخليفته من بعده ، ووليه في الدنيا والآخرة ، وقد اثره بذلك على سائر أرحامه ، ويدلون أنه أنزله منه منزلة هارون من موسى بقولهم: عندما استخلف النبي علي بن أبي طالب على المدينة في غزوة تبوك قال له الإمام علي : أتخلفني في النساء والصبيان ،فقال (ص) : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنه لا نبي بعدي .

---

(١) سورة ٥/ ٥٦/ ٥٧

وعلى العموم يتحدث عامة الشيعة في مؤلفاتهم ويوردون أحاديث ونصوص كثيرة كما يقولون: ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في علي ، أنزل في علي ثلاثمائة آية من كتاب الله ، وكل هذه الآيات تدل دلالة واضحة على أنه صاحب الحق الشرعي المنصوص عليه في الخلافة والإمامة بعد النبي (ص) . ونكتفي بهذا القدر خشية التطويل ومخافة الخروج عن الموضوع .

***

الامامة من الوجهة الاسماعيلية

ثم نعود لنناقش الإمامة من الوجهة الإسماعيلية فنقول : في كتاب إثبات الإمامة صورٌ واضحة عن النظرية الإسماعيلية في الإمامة ، فالإسماعيليون كما هو واضح ساهموا مساهمة فعالة في التعبير عن الإمامة ، فكتب دعاتهم وفلاسفتهم وعلماؤهم البحوث الطويلة واعتمدوا الأحاديث والنصوص الكثيرة التي تؤيد حق علي في الإمامة ، غير أنهم سلكوا طريقاً آخر فأدخلوا الفلسفة في الموضوع ، لذلك جاءت نظرياتهم الفلسفية جديدة على المجتمع الإسلامي الفكري بالنسبة لمن سبقهم من علماء الشيعة ، كما أن شعراء الدعوة الإسماعيلية نظموا قصائد شرحوا فيها عقيدتهم في الإمامة ، وها هو أحد دعاتهم الكبار المؤيد في الدين داعي الدعاة يقول :

وهم أولو الأمر أئمة الهدى — عصمة من لاذ بهم من الردى
مفروضة طاعتهم على الأمم — قاطبة من عرب ومن عجم
إقرأ وأطيعوا الله والرسولا — ثم أولي الأمر بهم موصولا
ثلاث طاعات غدت معلومة — في آية واحدة منظومة[1]

ومن الذين عالجوا قضية الإمامة على ضوء العقائد الإسماعيلية القاضي النعمان ابن محمد في كتابه (التوحيد والإمامة) و(الهمة في آداب اتباع الأئمة) وللفيلسوف الإسماعيلي الكبير أحمد حميد الدين الكرماني في الموضوع ذاته كتاب (المصابيح)

(١) القصيدة الثانية من ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة .

ورسالة (مباسم البشارات) و(الرسالة الواعظة) . وكتب الداعي أبو الفوارس بن يعقوب رسالة في الإمامة ، كما ألف أبو يعقوب السجستاني كتاب (خزائن الأدلة) ويطول بنا الحديث لو أحصينا كل ما تركه الدعاة الإسماعيليون من كتب وقصائد وأبحاث ورسائل في إثبات إمامة المسلمين لأهل بيت رسول الله (ﷺ) .

ولكن لا بد لنا من الإتيان على بعض الأقوال التي دافع فيها الإسماعيليون عن نظرياتهم هذه ، وهي بنظر بعض المؤرخين والعلماء خروجاً على المألوف ، وإضفاء صبغة الألوهية وعلم الغيب على الأئمة ، كما قالوا إن الاسماعيليين يذهبون مذهب أهل التناسخ ، ويقولون بالتلاشي ، ويدينون بالإباحية وتعطيل الشرائع ، لذا رأينا أن نتعرض في مقدمتنا الى هذه النواحي فنذكر آراء علماء الإسماعيلية ونناقشها مناقشة علمية فنقول : اختلف الدعاة الإسماعيليون في أمر علم الأئمة للغيب وكثر الجدل حول هذا الموضوع وكان لشعرائهم وكتابهم الأقوال الكثيرة ، كما أن علماء الدعوة وفلاسفتها جاءوا ببيانات تنفي المزاعم المغرضة التي أطلقها المؤرخون ، وتبرىء الإسماعيلية من هذه التهمة التي لا تزال آثارها لاصقة بهم . إنّ في مؤلفات الدعاة والفلاسفة ما ينفي المزاعم القائلة بإيمان الاسماعيليين بالتناسخ والتلاشي فها هو المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي الدعاة يقول في إحدى قصائده :

أيها المدعي التلاشي حمقاً ... ذا الذي تدعي عليك وكيل
أترى هذه الصنائع طرًّا ... عبثا ما لصانع محصول
حركات الاجرام قل لي لماذا؟ ... ولماذا طلوعها والأفول
ألها في مجالها الفعل أم لا؟ ... فبغيرٍ إذنْ يجوز تجول؟
إن تقل ذاك فعلها باختيار ... أنكرت منك ما ادعيت العقول
إن فيما دنا من الماء والنا ... ر على ما علا لنا التمثيل
ولئن قلت: ذاك غير اختيار ... قلت: كل مدبر محمول
فإذا كان هكذا ثبت الحا ... مل والفاعل اللطيف الجليل
فإذا كان فاعل متقن الفعل وما دونه له مفعول

فـالتـلاشي لفعلـه مستحيـل ‏ ‏ جـل عما بـه عليه تحيـل
والذي قال إنـه النسـخ والفسخ ومـاذا بغـير دينـا حلـول
فهو عن جوهر النفـوس البسيطا ‏ ‏ ت ومـن حيث بدئهـا مسـئول
فلئـن كان يثبـت الأصـل منها ‏ ‏ فـكذا نحـوه يكـون القفـول
ولئـن كان نافيـا قيل مهـلا ‏ ‏ فلهـذي المشـاهـدات أصـول
فثـواب يكون بالأكل والشـر ‏ ‏ ب فذاك العـذاب والتنكيـل
إنمـا التـذ بالمآكل دفعـا ‏ ‏ لمضراتـه الشـروب الأكـول
وثـواب الإلـه أمـر خفي ‏ ‏ مـا له في المشاهـدات عديل[1]

ونحيل القائلين عن الإسماعيليين بأنهم يدينون بالإباحية وتعطيل الشرائع على قصيدة ثانية لداعي الدعاة المؤيد في الدين يقول فيها:

فـكيف شرع الأنبياء ندفع ‏ ‏ ومـا لنـا إلاّ النبـي مرجع
بنـوره في الدرجـات نرتقي ‏ ‏ وبالـكرام الكاتبـين نلتقي
يا رب فالعن جاحـدي الشرائع ‏ ‏ ورمهـم بأفجـع الفجائـع
والعـن إلهي من يرى الإباحه ‏ ‏ بلعنـة فاضحـة مجتاحه
والعـن إلهـي غاليًا وقاليا ‏ ‏ ولا تذر في الارض منهـم باقيا
يا رب إنـا منهـم براء ‏ ‏ هـم واليهـود عندنـا سواء
فاخزهـم واخـز من رمانا ‏ ‏ بريبـة ولقـه الهوانا[2]

أما الفيلسوف الإسماعيلي أحمد حميد الدين الكرماني فيقول في كتابه (راحة العقل) : «إن النفس بكونها في عالم الطبيعة ظهور الرذائـل فيها أسبق إليها من سبق النار الى النفط ، وليس يدفع عنها تلك الرذائـل إلا الشريعة وأحكامهـا فمـن لزم الأمر ، وراض نفسه بالقيام تحت أثقاله فهو أخونا حقاً ، يجد لذة في نفسه عند كل

(١) القصيدة الخامسة من ديوان المؤيد في الدين.
(٢) القصيدة الأولى من ديوان المؤيد في الدين .

مقام صدقاً ، ومن فسق عنه بأن يقوم بالبعض ويترك البعض ، أو يخل بالكل فما يضر إلاّ نفسه، ويفعل الله به الواجب في حكمه وهو سريع الحساب ».[1] ويقول المؤيد في مجالسه : «استعيذوا بالله من قوم يقولون بأفواههم أنهم شيعة وهم من طلائع الكفر والإلحاد شر طليعة يستوطئون مركب الإباحة ويميلون ميل الراحة ، ولا يزالون كذلك حتى يحلوا من تكاليف الشريعة كل عقد ، ويردوا من مهاوي الردى في تحليل المحرمات شرَّ وِرْد ، وهؤلاء أضر بالدين وبالمؤمنين فمن شهر سيفه وشرع رمحه إلى أئمتهم بالبغضاء، ولم يزل من مضى من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والائمة من ذريته إلى إمام الزمان براء الى الله تعالى فمن هذه سبيله سراً وجهراً ، ينشرون في صحف الخزي على من دان دينهم». ومن هذه الأقوال يتضح لنا أن الإسماعيلية عقيدة من تعاليمها الحض على التمسك بالشرائع السماوية ، والحث على العمل بما أوجبه تعالى من فرائض دينية ، شأنها في ذلك شأن كافة المسلمين ، وليس هناك أي اختلاف إلاّ في الإمامة ، والإمام لديها بشر يجري عليه ما يجري على سائر بني الإنسان من موت وحياة ، فهو ليس إلهاً يعبد كما يدعي خصومهم ، أو الغلاة منهم ، وليس هناك أي عالم أو مؤلف ، أو فيلسوف إسماعيلي أعطى صفة الألوهية ، وعند الحديث عن الموضوع نراهم يقولون : بأن الله واحد لا شريك له ، أما إذا وجد بعض الغلاة والسذج والدخلاء على الإسماعيلية مما لا تخلو منهم طائفة من الطوائف ، وقالوا بخلاف الواقع والحقيقة ، فنحن نتبرأ منهم كما تبرأ الدعاة الكبار قبلنا من هذه الفئة ، وليس أدل على ما نقول مما جاء في الرسالة (الواعظة) للكرماني وقوله للذين قالوا بألوهية الإمام الفاطمي الحاكم بأمر الله : « وأما قول أصحابك أن المعبود تعالى هو أمير المؤمنين ، فقول كفر تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هدًّا ، إن دعوا للآله المعبود غيراً ، فيا لجسارة على الله حين جعلوا له تعالى شريكاً ما أعظمها ، وبالجرأة على الله تعالى حين جعلوا المعبود غيره تعالى ما أفظعها ، ولقد قالوا عظيماً وافتروا إثماً مبيناً ، وإن ذلك إلاّ كفر محض ، فما أمير المؤمنين إلاّ عبدٌ لله خاضع، وله طائع ، يسجد لوجهه الكريم ، ويعظمه

---

(٢) راحة العقل ١٠٢

غاية التعظيم ، وباسمه يستفتح ، وعليه في أموره يتوكل ، وأمره إليه يفوض ، وهو سلام الله عليه يتبرأ إلى الله تعالى ممن يعتقد ذلك فيه[1] .

هذا هو رأي عالم جليل ، وعقل مفكر ، وفيلسوف عظيم ، في أولئك الغلاة الذين حاولوا أو بالأحرى دعوا الى تأليه الأئمة ، ومما لا جدال فيه أن الإسماعيليين في جميع أنحاء العالم يشجبون كل دعوة تتنافى وأقوال الكرماني ، كما أنهم يتبرأون من هذه الفئات ، ولا يعتقدون إلاَّ بما كان يعتقد به أئمتهم الأطهار ، وفلاسفتهم الأفذاذ الذين نزهوا الله تعالى عن كل الصفات ، ونفوا عنه تعالى ما يليق بمبدعاته ، لأن هذه الصفات موجبة للأنداد والأضداد ، والله سبحانه ليس له مثيل ولا ضد ، أما أسماء الله الحسنى التي وردت في القرآن الكريم فلها تأويل لديهم على أنها أسماء وصفات (العقل الفعال) الذي يعتبر أقرب الحدود الروحانية الى الله وأسبقها إلى معرفته وتوحيده ، وقد فضله تعالى على سائر مبدعاته ، وفي العقل الفعال ورد الحديث القدسي : « أول ما خلق الله العقل ، فقال له أقبل فأقبل ، وقال له أدبر فأدبر فقال : بعزتي ما خلقت خلقاً هو أعز منك ، بك أثيب وبك أعاقب[2] .

واستناداً إلى هذا القول وإلى غيره من الأقوال والنصوص والنظريات التي اعتمدها علماء الإسماعيلية في تأويلاتهم الباطنية ، ونظرياتهم الفلسفية العميقة أولوا قوله تعالى : ﴿ وَلِلّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فادْعُوهُ بِهَا[3] ﴾ فقالوا إن المؤمن عليه أن يتقرب الى الله ويعبده حق عبادته ، ولا يتسنَّى له ذَلك إلاَّ بمعرفة الحدود الروحانية وهم الملائكة المقربين إليه ، وبناء على نظرية المثل والممثول أوجدوا حدوداً جسمانية تقابل الحدود الروحانية ، فقالوا : إن النبي في عصره يقابل العقل الفعال ، وصفات العقل الفعال أطلقوها على النبي ، ولما كان الإمام هو خليفة النبي والقائم مقامه ، لذا فإن هذه الصفات تنطبق عليه وهي في الوقت نفسه صفات وأسماء العقل الفعال، وكل متمعن مدقق في أقوال دعاة الإسماعيلية تتبين له الحقيقة واضحة.

---

(١) الرسالة الواعظة) للكرماني ص ١٥
(٢) ورد هذا الحديث في صحيح البخاري
(٣) سورة ٧/ ١٧٩

ويعطينا الشاعر الكبير ابن هانيء الأندلسي فكرة صحيحة عن الإمامة ومفهومها العام لدى الاسماعيلية بقوله :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

فابن هانيء هنا يخلع على ممدوحه الإمام المعز الفاطمي اسمين من أسماء الموجود الأول ، أو العقل الفعال، أو السابق في الوجود ، وهما : (الواحد ، والقهار) ولا يعطيه أي اسم من الأسماء العائدة للمبدع . وقد سبق لنا أن قلنا إن الاعتقادات الإسماعيلية في الإمامة تحتاج الى رجوع الى التأويل الباطني ، وإذا لم يتسنَّ لنا الوصول إلى كنه التأويل نظل عاجزين عن فهم هذه الاعتقادات .

واعتقد الإسماعيليون أن أول الموجودات هو العقل الفعال كما سبق قوله ، واعتمدوا على نظرية المثل والممثول فقالوا : إن لكل حد من الحدود العلوية ممثول في العوالم الثلاثة ، الجرمي ، والديني ، والجسماني . وأطلقوا على الحدود العلوية أسماء مختلفة ذات مدلول واحد ، فألقوا على العقل الفعال الذي هو أول الموجودات تسعة وتسعين اسماً معروفة بأسماء الله الحسنى ، لأن المبدع بنظرهم لا اسم له ، ولا يمكن تصويره ، أو إطلاق النعوت عليه ، فهو فوق الأسماء والنعوت التي هي مبدعاته ، ولو أن له اسماً لكان هناك من سمّاه به ، ولكان يمده بالقوى الروحانية ، وهذا لا يجوز أصلاً . . لأن المبدع يمد ولا يستمد . .

ثم أضافوا على قولهم إنهم جعلوا للعقل الفعال كما قلنا ممثولاً في عالم الدين هو الرسول الناطق صاحب الشريعة في حينه ، ولمّا كان الرسول الناطق في عهده هو الجدير بحمل أسماء العقل الفعال . كان الإمام الذي هو ممثول النفس الكلية جدير بحمل أسماء الموجد الثاني ، ولمّا كان الإمام هو وريث الناطق ، أي أن الإمامة هي وريثة النبوة ، فإن الإمام بعد وفاة الناطق يتسلم المرتبتين (العقل الفعال والنفس الكلية)، لهذا فإن جميع الأسماء وعددها تسعة وتسعون اسماً تطلق عليه . . من هنا نرى أن ابن هانيء لا يعطي الإمام المعز إلاّ الأسماء التي خولته العقيدة الفلسفية الإسماعيلية التي رضع لبانها إعطاؤه إياها . . وهو (الواحد القهار)؛ ويعود ابن

هانيء ليؤكد بالبيت الثاني صحة ما ذهبنا إليه فيعطيه صفة الرسالة التي ورثها عن النبي الناطق . .

وكأنما أنت النبي محمد وكأنما أنصارك الأنصار

هذه ملخص نظرية الإسماعيلية في الإمامة كما يراها قطب كبير من أقطار الدعوة ، ونحن نرى أن ليس فيها أي أثر من آثار الغلو كما ظن البعض . . .

وهذا شاعر وفيلسوف آخر هو المؤيد في الدين داعي الدعاة يؤيد ما قلناه :

لست دون المسيح سماه ربا أهل شرك ولا نسميك ربا[1]

والآن بعد أن قدمنا لمحة موجزة عن اعتقادات الشيعة بالإمامة بصورة عامة والإسماعيلية بصورة خاصة نعود الى الكتاب الذي نضعه بين أيدي الباحثين لنقدم صورة جلية عما جاء فيه من آراء تعطي فكرة واضحة عن مرتبة الإمامة عند الإسماعيليين .

إن المؤلف ذكر أكثر من مرة بأن الاسماعيليين يفرقون بين مرتبة النبوة والإمامة . ويستدل من أقوال النيسابوري التي قصد فيها تطبيق نظرية المثل والممثول فقال :[2] إنما الإشارات الى تعظيم الإمامة ، وإلى نكران من يدعي منزلتها ، ولهذا وقعت عبدة النيران في الشبهة ، ولم يعرفوا ممثولها ، وحكى الله عن الأضداد والغاصبين لموضع الإمامة في قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ويأْبَى ٱللهُ إلاَّ أنْ يُتِمَّ نُورَهُ ولَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ[3] ﴾ وأردف قائلاً : إن الكواكب كثيرة التفاوت فيها والتفاضل ، وغاياتها وذروتها في الشرف والفضل وهي الشمس ، وبها تستضيء الأبصار الجسدانية ، وبها ينمو ويتم كل حيوان ونبات ومواليد ، وكل مواليد ونبات إذا لم يصل اليها تأثير الشمس لا تنمو ، وكذلك الإمام فهو شمس

---

(١) من القصيدة (١٥) من ديوان المؤيد في الدين
(٢) انظر النص ص ٣٥
(٣) سورة ٩/ ٣٣

الدين منه تستضيء البصائر وتستضيء النفوس بنور الهداية والحكمة ، وتضيء قلوب الأولياء ، ومن هذه الجهة أشاروا الى تعظيم الشمس ووقعوا في الشبهة ، لأنهم عرفوا المثل ولم يعرفوا الممثول . ومن هذه الجهة أشار النبي الى طلوع الشمس من المغرب إشارة الى خروج الإمام سلام الله عليه من المغرب .

وناقش النيسابوري الفرق المخالفة للإسماعيلية التي لا تقر بضرورة وجود الإمام فقال: [1] إن وجوب الإمام والأئمة عليهم السلام ضروري بالفطرة والجبلة والطبيعة والعقل والسياسة ، والوضع والرسوم ، وواجب في كل شريعة ودين وملة ، كما أن وجوب الصانع ضروري في الفطرة . ثم تابع معتمداً في أقواله على الأصول ، فنفى الإمامة عن كل من لا تليق به الإمامة ، وحاول إثبات أئمة آل البيت بالحجة والبرهان ، وأورد بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تعطي للأئمة من آل البيت الحق بإمامة المسلمين ، وقال بوجوب الطاعة لهم وقبول الشرع والتأويل والتوحيد منهم ، معتمداً على بعض النظريات الفلسفية التي تقول بالمثل والممثول فقال : جعل تعالى ذكره أصول الجسد وأسبابه شاهداً على أصول النفس ودليلاً عليها وعلى فروعها وغذائها ، لتكون الخلقة الدينية كالخلقة الجسدانية ، موازياً محاذياً ، كما أن الجسد لم يظهر ولم يتم إلاً بالأفلاك ، كما أن العلوم تتأثر بالكواكب كذلك ظهور الصور الدينية والعلمية والأنفس الباقية ، إنما تظهر وتتم بتأثير الأئمة سلام الله عليهم ، ومن علومهم يكون غذاؤها وهم النجوم الدينية[2] .

والحقيقة فإن كتاب إثبات الإمامة يمكن الاعتماد عليه كمصدر من مصادر العقائد الإسماعيلية ، فقيمته العقائدية ذات أهمية بالنسبة للراغبين بدراسة العقائد الإسماعيلية ، وكم نراه جديراً بالتخليد عندما نراه يحلل الإمامة ، وما فرض على التابعين نحو الأئمة ، وما يجب أن يوصف به كل مؤمن بدعوتهم ، والمؤلف يعتمد على الأخذ بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية دليلاً على صدق أقواله ، وفي أكثر من

---

(١) انظر النص ص ٢٨

(٢) نفسه ص ٣٠ ـ ٣١ .

موضع يحث على وجوب التمسك بالتقوى والإيمان ، ويبذل النصائح والإرشادات ، ويحث على العمل بتعاليم الإمام وطاعته وتجنب معصيته ، وحفظ حدوده وضرورة الاقتداء به .

وكتاب إثبات الإمامة واحد من المؤلفات الكثيرة التي صنفها دعاة الإسماعيلية في موضوع الإمامة، ويظهر هنا أن الداعي النيسابوري قد اعتمد في كتابه على كتاب له ألفه قبل هذا وسماه كتاب (التوحيد) .

مؤلف الكتاب

بالرغم من الجهود التي بذلناها ، والتنقيبات التي استمرت وقتاً طويلاً لمعرفة المزيد عن تاريخ حياة الداعي النيسابوري فلم يتسنَّ لنا إلاَّ معرفة القليل عنه ، وقد وجدناها في مصادر إسماعيلية متفرقة وبلغات عديدة ، وها نحن نوجزها بما يلي :

ولد الداعي الأجل سيدنا أحمد بن ابراهيم أو محمد النيسابوري في مدينة نيسابور في فارس في أواخر القرن الرابع الهجري في بيت عرف بانتمائه للإسماعيلية ، ففي هذا البيت استوعب عقائدها وانخرط في شبابه في تنظيمات الدعوة السرية .

وفد على القاهرة في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله ، في ذلك العهد المشهور بالرخاء ، والتسامح الديني والثقافي ، أجل . . . وفد كغيره من الدعاة الكثيرين للتزود من العلم والانتهال من ينابيع الفكر الفلسفية المتدفقة في دار الحكمة ، ومن الثابت أنه تلقى المزيد من العلوم الفلسفية الباطنية على أيدي أكابر الدعاة في القاهرة ، وسمع المجالس التأويلية ، وهي المحاضرات التي كانت تلقى على العامة والخاصة . ومن المرجح أنه وضع أكثر مؤلفاته في القاهرة وتوفي في عهد الإمام الحاكم الفاطمي ، أي في أوائل القرن الخامس الهجري .

إن المصادر التي بين أيدينا لا تشير الى مكان وفاة النيسابوري وتاريخها ، وقد لمح الى ذلك بعض الدعاة الإسماعيليين في فارس من أنه عاد الى بلاده فارس وتسلم رئاسة الدعوة فيها وظل قائماً بشئونها حتى وفاته .

وكتبه التي ألفها هي:

١ - رسائل استتار الإمام. ٢ - الموجزة الكافية في آداب الدعاة والحدود. ٣ - الظاهرة في معرفة دار الآخرة. ٤ - كتاب التوحيد. ٥ - إثبات الإمامة، وهو هذا الكتاب.

اعتمدنا في تحقيق كتاب إثبات الإمامة على نسختين خطيتين. الأولى وجدناها عند أحد دعاة الإسماعيلية في (بدخشان) وقد رمزنا إليها بالحرف (آ) قياسها ٤٠ × ٢٠ سنتم بخط جميل، أما عناوينها فبالحبر الأحمر، وعددصفحاتها ٦٣ صفحة مليئة بالأخطاء النحوية والإملائية، أسلوبها ركيك كما يظهر، جاء في نهايتها: قد وقع الفراغ من نسخ هذا الكتاب المسمى بإثبات الإمامة لسيدنا أحمد نيسابوري قدس الله روحه، ورزقنا شفاعته وأنسه، في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان الكريم ثمان وأربعون[1] ومائتين بعد ألف سنة كتبه أقل الأقلين وأصغر الأصغرين محمد حسن بن علي بن أحمد البدخشاني، ثبته الله تعالى على طاعته، وطاعة رسوله وطاعة وصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعلى طاعة الأئمة الأطهار من آله الأبرار وعلى طاعة دعاتهم الأخيار وصلوات الله عليهم أجمعين.

والنسخة الثانية التي رمزنا اليها بالحرف (ب) حصلنا عليها من الجمعية الإسماعيلية النزارية في كراتشي الباكستان، وهي أحدث من النسخة الأولى وأكثر تهذيباً، عدد صفحاتها ٦٣ صفحة قياس ٣٠×١٢ سنتم خطها رديء وأخطاؤها أقل من النسخة الأولى، فيها تقديم وتأخير، وقد جاء في نهايتها أنها كتبت بخط محمد بن امداد علي مباركوري أعظمي سنة ١٣٣٨ هجرية.

وبعد إجراء المقارنة بين النسختين تبين لنا أن ركاكة الأسلوب جاءت من المؤلف نفسه، وإذا عرفنا أنه من أصل فارسي هان السبب . . .

---

(١) كذا.

وفي نهاية المطاف لا يسعنا إلاّ أن نقدم جزيل الشكر لمن عاوننا بالنسخ والمقارنة وقراءة النسخ وأسدى الينا ببعض المعلومات والنصائح حول الكتاب والمؤلف ونخص بالذكر أمين سر الجمعية الإسماعيلية في كراتشي الاستاذ شير علي الأيادينا الذي وضع تحت تصرفنا المخطوطة الانفة الذكر. . . فلهم منا جزيل الشكر والامتنان .

سلمية ـ مصطفى غالب

كتاب إثبات الإمامة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله باعث الرسل والأنبياء، وجاعل الأئمة والخلفاء ، نعمة للأولياء ، ونقمة على الأعداء[1] ، وصلاحاً للدين والدنيا ، وعمارة للآخرة والأولى . أحمده حمد من عرف عظيم قدر النعمة[2] ، وشكر الله عليها ،[3] وهاجر من أجلها،[4] وسارع إليها ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله ، شهادة عبد عارف بحدودها ، ومجتهد في أداء حقوقها ، وأشهد أن محمداً عبده المفضل[5] على الرسل ، المعصوم من كل الخطايا والزلل ، صلىَّ الله عليه صلاة لا يحصى عددها ، ولا ينقطع أمرها ، وعلى وصيه الوفي الصادق ، صاحب البيان والحقائق ، وعلى الأئمة من ولده[6] وفيهم كل شهيد[7] أولى الثناء والتحميد ، والعصمة والتسديد ، وعلى صاحب العصر المؤيد بالفتح والنصر ، أفضل سلام الله ، وأنمى بركاته ،[8] وأزكى تحياته ، وعلى ولي عهد المسلمين ، وخليفة أمير المؤمنين ، من الله أطيب السلام ، ما نطقت[9] الألسن بالكلام ، واختلف النور والظلام .

---

(١) في (آ) نعمة على الأعداء
(٢) في (ب) النعمة بهم
(٣) في (آ) سقطت (الله)
(٤) في (آ) وهاجر في الله
(٥) في (ب) والفضل على الرسل
(٦) في (آ) من أولاده
(٧) في (ب) وفيهم الشهيد
(٨) في (آ) خيراته
(٩) في (آ) ما نطق

أما بعد:

فإنه لما كانت الإمامة هي قطب الدين ، وأساسه ، والتي يدور عليها جميع أمور الدين والدنيا ، وصلاح الآخرة والأولى وينتظم[1] بها أمور العباد ، وعمارة البلاد ، وقبول الجزاء في دار المعاد ، وبها يصل الى معرفة التوحيد ، والرسالة بالحجة والبرهان ، والدلالة الى معرفة الشريعة وبيانها ، وإنما قلنا أن الإمامة هي قطب الدين وأساسه ، ولم نقدم الرسالة على الإمامة ، لأن في إثبات الإمامة إثبات الرسالة ، والمقر بالإمام مقر بالرسول ، وليس كل من أقر بالرسول أقر بحقيقة الإمام ، لأن إثبات الرسالة يحتاج إليه المسلمون ، وهم أقرب الى المؤمنين ، والمجاهدة معهم باللسان والمناظرة أولى مع المنكرين للرسول والرسالة ، لأن من بقي من المشركين قد بلغت إليهم الدعوة وقامت عليهم الحجة ، والمناظرة معهم اليوم بالسيف أولى ، لأن الامام لا يخلو العالم منه في كل وقت وزمان ، والرسول يكون في وقت دون وقت ، ولأن في إثبات الإمامة إثبات الرسالة ، وقد سمَّى الله تعالى الإمام رسولاً في قوله تعالى« وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً[2]» وسمى الرسول إماماً في قوله لابراهيم ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامَاً[3]﴾ وهذا كان بعد تمام الرسالة حيث قال ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً[4]» عن جعفر الصادق سلام الله عليه أنه قال: اتخذ الله ابراهيم نبياً ثم اتخذه خليلاً ثم اتخذه رسولاً، ثم قال: إني جاعلك للناس إماماً وسمى الله آدم خليفة، واسم الخليفة من أسماء الأئمة، وسمى الله داؤد خليفة، وكان من الأئمة في الأدوار الماضية ، وسمى الحجج أنبياء، وسمى الله محمداً وسائر الرسل أنبياء أيضاً، كما أنه خاطبهم تارة بالأنبياء، وتارة بالرسل[5] لأن الرسول يبلغ

---

(١) في (ب) والتي ينتظم
(٢) سورة ١٩/ ٥٤
(٣) سورة ٢/ ١٢٤
(٤) سورة ٢/ ١٢٤
(٥) في (آ) الرسول

إلى درجة الإمامة أولاً ثم إذا وجب الوقت[1] وضع الشريعة، ويكون سابع أئمة ذلك الدور عندئذٍ يقوم بوضع الشريعة ، فالإمام يقوم مقام الرسول في وقته وزمانه، لأن الرسول قبل قيامه بوضع الشريعة يكون من جملة الأئمة، ويتسلم الأمر من الإمام، وبعد فراغه من الشريعة يسلم الأمر إلى الإمام القائم في[2] العالم في كل وقت وزمان، الذي لا يخلو العالم منه، والإمام يحفظ الشريعة وحقائقها كما ذكرنا، إذاً قد صح وتبين أن مدار الدين على الإمام، وأن الإمام يعمل في شريعة النبي في دوره، فلا يصل إلى النبي ومنزلته والى الشريعة الصحيحة التي لم تتغير ولم تتبدل إلاً من جهة الإمام، ولا يصل إلى حقيقة الشريعة وتأويلها ومعانيها إلاً من جهته، وقد كثرت التأليفات في إثبات الإمامة لشيوخ الدعوة، من الاستدلال والاستشهاد من آيات القرآن المعروفة المنزلة في شأن الإمامة والأئمة سلام الله عليهم ، والأخبار [3] المروية عن النبي، ولم يدع المتقدمون في ذلك شيئاً للمتأخرين، وليس في تكرير المعاني بتغيير الألفاظ كثير فائدة، لذا أردنا أن نؤلف رسالة في إثبات الإمامة على طريق الإجتهاد[4] والاستدلال من الآفاق والأنفس، والسياسة والرسوم، وعن طريق العقل والضرورة، والفطرة والجبلة[5] والاتفاق من أهل كل أمة ومن الفلاسفة وأهل الحساب، ثم نستشهد من ترتيب الفرائض والسنن من وجه لم يستشهد بها من قبل، فإذا كانت[6] مرضية من شيوخ الدعوة، فبحسن مواد ولي العصر والزمان لعبيده، وإن كان فيها خطأ فمن عجزي وتقصيري وهو أول لي .

ونقول : إن وجوب الإمامة والأئمة عليهم السلام ضروري في الفطرة والجبلة ، والطبيعة، والعقل ، والسياسة ، والوضع ، والرسوم ، وواجب في كل

---

(١) في (ب) الأمر
(٢) في (آ) من العالم
(٣) في (ب) الأقوال
(٤) في (ب) الاشتهاد
(٥) في (آ) الصنعة
(٦) في (آ) أصبحت

شريعة ، ودين وملة ، كما أن وجوب[١] الصانع ضروري في الفطرة ، والجبلة ، والعقل ، وفي كل ملة ودين ، ولكن الناس[٢] اختلفوا في الصانع بعد وجوبه ، والتزامهم ذلك ، وحكموا بأهوائهم ، وآرائهم وتقليد آبائهم ، وأساتذتهم[٣] بأن الصانع الذي ألزمهم بالجبلة ، والفطرة ، هو الجوهر والعناصر ، والكواكب ، والشمس ، أو غير ذلك[٤] ووصفوا الباري بصفة يكون تشبيهاً ، أو شريكاً من جهة حكمهم بغير علم ، كذلك في وجوب[٥] الإمامة وقعوا في اختلاف بعد التزامهم الإمام ، حتى قال بعضهم : إن الإمام الذي أوجبه العقل والضرورة ، هو الحكيم في كل زمان ، مثل الفلاسفة ، فإنهم يسمون أساتذتهم[٦] أئمة وحكماء ، ورأس العالم ، وسائس العالم ، والمعلم[٧] .

وأهل الأديان ، يسمون الأئمة الماضيين ، أنبياء ، وحكماء في كل دور[٨] . وأهل الإسلام يسمون المدعيين الظلمة ، والمتغلبين أئمة ، ويسمون علماءهم وفقهاءهم أئمة ، والجميع إذا تصفحت عنهم ، مقرون بالإمامة ، وقائلون بأنها ضرورة ، لا يمكنهم[٩] إنكار وجوبها لمن أراد النجاة ، ولهذا ينبغي له أن يدع الميل والهوى ، ويعرف عجز كل مدعٍ ما لهذا الاسم ، ونقصانه في العلم والمعرفة ، والتقوى ، وسائر الفضائل ، ومن شروط الإمامة ، إذا وقف على نقصان علمه ، وقلة[١٠] ورعه ، وصيانته ، وعجزه عن القيام بشروط الإمام ، نفيت عنه الإمامة ،

---

(١) في (آ) إيجاب
(٢) في (ب) البشر
(٣) في (آ) أساتيذهم
(٤) في (آ) هذا
(٥) في (ب) ضرورة
(٦) في (آ) معلميهم
(٧) في (ب) العالم
(٨) في (آ) كل زمان
(٩) في (ب) لا يستطيعوا
(١٠) في (آ) نقص ورعه

حتى يبلغ إلى معرفة إمام الحق ، ونحن نذكر طرفاً من كلام كل[1] مدعٍ وعجزه ، ونقصانه، ونرد عليه بأصوله .

وننفي الإمامة عن كل من لا تليق به ، ونثبت إمامة أئمة الحق سلام الله عليهم ، بالحجة والبرهان ، ونثبت وجوب الطاعة لهم ، والائتمار بأمرهم ، وقبول الشرع والتأويل والتوحيد منهم كما ذكرنا في كتاب (التوحيد[2]) وأن من عرف المخلوق ، ووقف على عجزه ونقصانه ، ونفى[3] الالوهية عن جميع المخلوقات[4] فيبقى التوحيد مجرداً من غير تشبيه ولا تعطيل ، ونقول أن الله بلطف حكمته ، وسعة قدرته ، خلق لجسد الإنسان أصولاً وعللاً ، وأسباباً ، وجعل جميع الفروع والمواليد مبروزة فيها ، وفي آثارها ، تظهر منها بتقدير مقدور ، وأجل معلوم ، إلى أن أظهر منها جسداً حساساً محاذياً لأصوله ، وموازياً لها ، وجعل تلك الأصول والأسباب قوامه وغذاءه ، فيها يكون بقاؤه ، ومنها يكون ثوابه[5] وعقابه الجسداني[6] الحسي ، كذلك جعل للأنفس والأرواح ، والصور الدينية العلمية ، أصولاً وعللاً وأسباباً تظهر من آثارها الأنفس والأرواح والصور الدينية ، وبها يكون قوامها ، وغذاؤها ، وبقاؤها ، وثوابها ، وبانقطاع مادتها ومخالفتها لأصلها يكون عقابها[7] وجعل تعالى ذكره أصول الجسد وأسبابه شاهداً على أصول النفس ، ودليلاً عليها ، وعلى فروعها وغذائها ، لتكون الخلقة الدينية كالخلقة الجسدانية ، موازية محاذية ، كما أن الجسد

(١) سقطت من (ب) .

(٢) يظهر أن هذا الكتاب من مؤلفات النيسابوري المفقودة ، لم يذكره ايفانوف في (المرشد الى الأدب الاسماعيلي) ولقد عثرنا على نسخة خطية من هذا الكتاب مؤخراً وهو في مكتبتي الخاصة .

(٣) في (آ) رفض

(٤) في (ب) المخلوقين

(٥) في (آ) جوابه

(٦) في (ب) الجثماني

(٧) في (آ) جوابها

لم يظهر ولم يتم إلاً بالأفلاك[١] كما أن العلوم تتأثر بالكواكب ، كذلك ظهور الصور الدينية والعلمية والأنفس الباقية إنما تظهر وتتم بتأثير الأئمة سلام الله عليهم ، ومن علومهم يكون غذاؤها وهم النجوم الدينية كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) .

وإن كان تصرفهم في موضع الأنبياء الذين هم مثل الأفلاك ، فيكون مجاري أمور الخلق ورجوعهم الى الأئمة سلام الله عليهم ، ولو ذكرنا موازاة[٢] أفلاك الدين مع أفلاك الطبيعة لطالت الرسالة ، وخرجت عن حدها ، ولكننا اقتصرنا على إشارة منها في ابتداء الرسالة ، ليبحث من أراد أن يقف على غير ما ذكرنا إن شاء الله تعالى ، ونقول : إن التفاوت والتفاضل[٣] في كل شيء من الأصول والمواليد والفروع ، أوكد الأدلة[٤] والحجج على ثبات الإمامة ، والأئمة عليهم السلام ، وذلك أن الله تعالى خلق الأشياء متفاوتة متفاضلة في الأجناس والأنواع ، ثم جعل في[٥] كل جنس ونوع غاية وذوقاً ونهاية وفضيلة ، لم يبلغ غيره من جنسه ونوعه اليها ، وجعل تلك الأجناس والأنواع ، إما أصلاً في الخلقة لا يستغني عالم البشر عنه[٦] لأن جسده لا يتم تكوينه وقوامه إلاً به ، فأما غذاء له ، أو دواء ، أو تجملاً وزينة وآلة لا يستغني عنها ، وجعل في كل شيء من ذلك منفعة لم تجعل في غيره ، وجعل لذلك الشيء عزاً ، وأحوج الخلق الى ذلك اضطراراً ، أو جبراً لامتثالهم من ذلك ، ولا تنتظم أمور جسدهم[٧] إلاً به ، وابتلاهم أبداً في تحصيل ما يزيح علتهم في ذلك ، والسعي

---

(١) في (آ) يكتمل إلاً بالأفلاك .
(٢) في (آ) مقارنة
(٣) في (ب) التقارب
(٤) في (آ) أكد الدليل
(٥) في (ب) من
(٦) في (آ) البشر منه
(٧) في (آ) جسمهم

في طلبه[١] واكتسابه ، فإن من لم يجد ذلك ، وما دام هو في عالم جسده لا يستغني[٢] طرفة عين عن التنسم والاستفادة من أصول عالمه ، ومن فروعه ومواليده ، ونباته وأغذيته ، حكمة من الله جل جلاله ، وعدلاً منه ليكون ذلك شهوداً ، أو أمثال جبريات فانيات على ممثولات دينيات باقيات ، واختيارات نفع كل واحد من الممثولات من الأصول ، والمواليد ، والأغذية ، والأدوية الدينية أجل وأفضل وأعز من الأمثال[٣] الجبريات ، والإحتياج إليه أكثر[٤] من الإحتياج إلى الجبر الطبيعي ، لأن نفع الجبريات راجع الى الجسد ، ونفع ممثولاته أرجع الى الروح والنفس ، فبمقدار زيادة فضل الروح على الجسد تكون زيادة فضل الممثولات العقليات على[٥] الأمثال الطبيعات وبمقدار فضل الباقي على الفاني تكون زيادة فضل الممثول على المثل ، وبمقدار زيادة فضل كل واحد يكون الخلل بعده في كل شيء من ذلك ، فإن من عدم شيئاً مما يحتاج إليه من الأشياء الجسدانية[٦] لا يكون هلاكه ، وإن كان فيه هلاكه ، فيكون هلاك جسده ، وهو لا شك يفنى ويهلك ، وبعد الممثول الديني يكون هلاك النفس ووقوعها في العذاب الأبدي ، فلو كان اجتهادهم في طلب ما تحتاج إليه النفس ، مثل اجتهادهم وحرصهم في طلب ما يحتاج إليه الجسد ، لما وقع اثنان في شك وضلال وتشبيه .

ونقول: إنما[٧] خلق الله تعالى على هذا الترتيب في الخلقة ، وما أحوج الناس إليه كما ذكرنا نَبينها لهم على الممثول الديني ليكون شاهداً لمن يشهد به ودلالة لمن يستدل به ، وتبصرة لمن يتبصر ، وعبرة[٨] لمن يعتبر ، وحجة على من أنكر الممثول

(١) في (ب) سبيله
(٢) في (آ) لا يبغي
(٣) في (آ) المثلات
(٤) في (ب) سقطت كثيراً
(٥) في (آ) الممثولات
(٦) في (آ) الجثمانية
(٧) في (ب) سقطت صلح
(٨) في (ب) سقطت عبرة

الديني من الأئمة والحدود ، وعلومهم والإستفادة منهم ، كقبولهم استفادتهم من الأصول الطَّبْيعية والكواكب ، والأفلاك ، وإنما خلق الله تعالى هذه الأصول والأسباب والعلل الطبيعية جبراً حتى لا يستطيع أحد أن ينكرها ، ويستشهد بها زوراً ، أو يغيرها ويبدلها ، كما غيّروا وبدّلوا في الشرع ، وكما غيروا ما أشهدهم عليه النبي عليه الصلاة والسلام في إثبات الإمامة ، والأئمة ، ووجوبها ، وموالاة الأئمة ووجوب الطاعة لهم ، والتوبيخ لمن عصاهم ، والوعد بالثواب لمن أطاعهم ، وكما غيروا القرآن وحرفوه ، وكما أخبر الله تعالى بقوله : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ[1] ﴾ ونسوا خطأ ما[2] ذكروا به ، وكما قال الله تعالى ذكره : ﴿ إِنَّما النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ[3] ﴾ ولم يكن ذلك نسيانا منهم بل تناسوا تلك الشهادة كأن لم يسمعوا بها[4] ولم يروها ، كما أن شهادة الآفاق والأنفس جبرية لا اختيارية ، ولا يمكن لأحد أن يغيرها ، كذلك منح الرسول الشهادة جبراً لا اختياراً للشاهد فيها بأن يغيرها ، أو يبدلها ، أو يكتمها عن غيرها[5] ومن كتمها فقد وعده بالعذاب الأليم ، وأمر الله الحكم شهادة شاهدين ، وذكر تعالى في قوله : ﴿ أن تَضِلَّ إحْداهُمَا فَتُذَكِّرَ إحْداهُمَا الأخْرَىٰ وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إذَا مَا دُعُوا[6] ﴾ يعني أن الحكم الحقيقي في الدين ، وإثبات الإمام والحدود شهادة شاهدين ، أحدهما وضع شرعي ، والآخر طبيعي جبري ، فإذا أنكر الشهود الوضعي ، فالجبري الطبيعي هو الآفاق ، والأنفس تذكر وتقوى وتصح شهادة الوضعي ، وكما قال النبي (ﷺ) حين قيل له : من يشهد على نبوتك؟ قال: يشهد لي كل حجر ومدر ، فأشار إلى شهادة الآفاق والأنفس ، وإذا شهد الشاهدان الشرعي والطبيعي ، يكون العقل هو المزكي ، يزكي الشهود من غير ميل ، ولا هو يتبين الحق سريعاً ، نذكر الآن التفاوت

---

(١) سورة ٤/ ٤٦ و٥/ ١٤
(٢) في (ب) مما ذكروا
(٣) سورة ٩/ ٣٨
(٤) في (آ) لها
(٥) في (ب) من غيرها
(٦) سورة ٢/ ٢٨٣

والتفاضل في كل أصل ومواليد ، ونستشهد في[1] كل جنس ونوع ، بغايته وذروته على الإمام في كل عصر وزمان ، وإذا كانت هذه الأجناس والأنواع تدل على الإمامة والأئمة على ترتيب آخر من جهة الأسابيع ، مثلاً أن تشهد الكواكب السبعة على الأئمة وغير ذلك من الأسابيع[2] فلا يمنع أن يكون دليلاً من جهة الدورة والتمام من كل نوع وجنس على الإمام كما نذكر ونقول : إن الحكماء والفلاسفة ذكروا المعقولات العشرة ، وقالوا أنه لا يستطيع[3] أحد أن يذكر شيئاً ، أو يتكلم إلاّ من جهة هذه العشرة ، وهي الكمية ، والكيفية ، والإضافة ، والمكان ، والزمان ، والجدة ، والنصبة ، والفاعل والمفعول ، فالغاية من العشرة هو الجوهر وبه يقوم الجميع ، وله الفضل على الجميع ، والتسعة قائمة به ، لأن الجوهر الذي وصفوه ، دليل على الجوهر الحقيقي النوراني العقلي[4] الأبدي الذي منه تضيء جميع الأنفس ، وبه تقوم جميع الأعراض[5] الدينية التسعة ، وهو المستغني عن جميع الخلق ، لا يستفيد من أحد[6] في العالم ، والجميع يستفيدون منه ، ويحتاجون اليه ، وهو الإمام عليه السلام ، وسائر الحدود تحته مثل الأعراض التسعة ، ونقول : إن العناصر الأربعة التي منها ركبت التراكيب الأولى[7] ، منها اثنان فاعلان ، واثنان منفعلان ، فالفاعلان هما الحرارة والبرودة ، والمنفعلان هما اليبوسة ، والرطوبة ، فان غايتها وأشرفها الحرارة ، ومنها الضياء ، والنور ، والحركة ، والعلو ، وبها قوام الثلاثة ، ولها السبق في الفضل والكون ، ولا يتم شيء[8] من الأصل ، ولا من

---

(١) في (آ) من
(٢) في (آ) التسابيع
(٣) في (ب) لا يقدر
(٤) في (آ) الوجودي
(٥) في (ب) الأغلاط
(٦) في (آ) انسان
(٧) في (آ) العناصر الأول
(٨) في (ب) يصير شيء

المواليد[١] إلاَّ بها ، وكذلك الإمامة[٢] فهي ضياء الأنفس ، ومنهـا النـور العقلي ، والحركة ، والعلو ، ولا يتم من الأصول شيء إلاَّ بهـا ، ولا من المواليد الـدينية ؛ والأفلاك أجلها وأعلاها فلك الأفلاك ، والجميع يدورون فيه ، فكذلك الإمام هو في عالم الدين[٣] فلك الأفلاك الدينية ، وجميع الـكواكب والبـروج الـدينية تحته يعملون[٤] ، فإن قال قائد ، إن هذا مثل على القائم ، وكذلك على أركان العالم الدالة على العقل ، ومن أصول الأركان الأربعة ، قلنا : إن الإمام قائم في وقته ، وزمانه وهو يقوم مقامه ، والإمام مقام العقل الكلي في علله ، ونقول : إن الأركان الأربعة أعلاها ، وأشرفها ، النار ، وهي : الغاية والذروة التي يبلـغ اليهـا سائـر الأركان ، والطبائع ، كذلك الإمام في وقته وزمانه أعلى أركان الدين ، وبه ضياء النفوس ، ومن هذه الجهة أمر ابراهيم عليه السلام بتعظيم النار إن صح ذلك عنه ، ومنهم من أخمدها وأطفأها ، وكل هذا[٥] إشارات الى تعظيم الإمامة ، والى نكران من يدعي منزلتها ، ولهذا وقعت عبدة النيران في الشبهـة ، ولـم يعرفـوا ممثولهـا ، وحكى الله تعالى عن الأضداد والغاصبين لموضع الإمامة في قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ ٱللهِ بِأَفْواهِهِمْ وَيَأْبَىَ اللهُ إلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ولَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ[٦] ﴾ ونقول : إن الكواكب كثيرة التفاوت فيها ، والتفاضل وغاياتها وذروتها في الشرف والفضل ، وهي الشمس وبها تستضيء الأبصار الجسدانية[٧] وبهـا ينمـو ويتـم كل حيوان ، ونبات ، ومواليد ، وكل نبات ومواليد إذا لم يصل اليها[٨] تأثير الشمس لا تنمو[٩]

---

(١) في (آ) الأولاد

(٢) في (آ) سقطت فهي

(٣) في (ب) سقطت عالم

(٤) في (آ) يعلمون

(٥) في (ب) وإنما

(٦) سورة ٩/ ٣٣

(٧) في (آ) الجثمانية

(٨) في (آ) معها

(٩) في (ب) لا تظهر

وكذلك الإمام فهو شمس الدين ، منه تستضيء البصائر ، وتستضيء النفوس بنور الهداية والحكمة ، وتضيء قلوب الأولياء . ومن هذه الجهة أشاروا إلى تعظيم الشمس ووقعوا في الشبهة[1] لأنهم عرفوا المثل ولم يعرفوا الممثول ، وإن النبي (ﷺ) أشار الى طلوع الشمس من المغرب والقصد هو خروج الإمام سلام الله عليه من المغرب .

والشمس الجرمانية إذا زالت عن ترتيب دورانها ، وطلوعها وغروبها ، عن مركزها طرفة عين فسد[2] العالم بأجمعه ، وذلك ممتنع في العقول ، وفي الطبيعة ، لم يستقم قول النبي إلاَّ بالتأويل ، وقد صح تأويله بالعيان بحمد الله ومنته .

ونقول : إن البروج الاثني عشر ، أربعة منها أجل وأفضل ، وواحد من الأربعة ، هو الغاية والذروة في الشرف ، وكذلك الواحد الذي تتحد[3] به الإمامة من الاثني عشر هو أفضل الجميع ، وأشرفهم وأعلاهم فضلاً .

كما أن الإقليم الرابع الذي هو بازاء السماء الرابعة[4] وبإزاء الشمس أعدل الأقاليم[5] وأفضلها وأشرفها ، وكذلك الإمام هو أفضل الحدود السبعة وأجلهم وغايتهم وذروتهم، ونقول : إن الجواهر المذابة من المعادن أفضلها الذهب ، فهو الذي تجري عليه معاملات الناس ، وهو قيمة المقومات[6] وهو الذي لا تؤثر فيه النار ، ولا تفسده الماء ، فكذلك الإمام عليه السلام هو أفضل الجواهر الدينية العقلية في وقته وزمانه ، وبه تتم معاملات الخلق وصلاحهم في الدين والدنيا ، وسائر الجواهر المذابة لكل منها غاية في التفضيل[7] ، ومن الجواهر الحجريات وغايتها

---

(١) في (آ) الظلمة
(٢) في (آ) عطل
(٣) في (آ) تتصل
(٤) في (ب) المربعة
(٥) في (آ) الأقليم
(٦) في (ب) المقامات
(٧) في (ب) التعظيم

الياقوت ، وغاية اليواقيت الأبيض ، والأكدر ، والأصفر ، والأحمر ، والياقوت الأحمر ، عالمه لا يتغير بالنار ، والماء . وله صفاء ورونق ورزانة ، وقد قبل من الآثار في أصله[1] ، ما لم يقدر على قبوله غيره[2] من الجواهر ، وسائر اليواقيت ، ولا الزمرد ، ولا البرخيس ، ولا البينجاد ، ولا العقيق ، ولا الماس ، ولا الفيروز ، وهو غاية الجواهر يعني الياقوت الأحمر ، كما أن الإمام غاية جميع الخلائق ، في وقته وزمانه ، وقد تفرد عن سائر الحدود ، الذين هم الحجج واللواحق والدعاة[3] والأجنحة[4] والمأذونون[5] والمكالبيون[6] فالإمام هو الغاية الذي لا يبلغ في وقته وزمانه أحد منزلته ، مرتبته ، ومن وجه آخر تكون السبعة ، والأئمة السبعة ، وهذا الوجه الذي يستدل به أقوى في موضعه ، وذلك أن المثل الطبيعي موجود في كل وقت وزمان ، فينبغي أن يكون ممثوله موجوداً[7] في كل وقت وزمان ، لأن الأنجم والطبائع والمواليد ، والجواهر موجودة ، فينبغي أن تكون الحدود أيضاً موجودة.
ونقول : إن الحبوب التي تكون قوت الانسان[8] وغذاءه ، عددها سبعة ، غايتها الحنطة وهي أهمها[9] طبعاً وشرفاً ، وبها يقوم الجسد ، كذلك الإمام هو الغاية والذروة ، ومنه تكون فوائد الأنفس وغذاؤها وبه قوامها وحياتها ، وبالعلوم التي تبلغ منه اليها ، وأما الأشجار المثمرة فغايتها وذروتها النحل ، وهي مثل الانسان ، منها ذكر وأنثى ، يحتاج الى المزاوجة[10] والمناكحة والفحل ، مثل الحيوان ، ثم كل

---

(١) في (ب) سقطت
(٢) في (أ) صلبه
(٣) في (أ) الداعي
(٤) في (أ) الجناح
(٥) في (أ) المأذون
(٦) في (أ) المكالب
(٧) في (أ) محدود
(٨) في (أ) طعام الانسان
(٩) في (ب) أحسنها
(١٠) في (أ) الازواج

شيء من النخل ينتفع به . ولا يسقط[1] منه شيء تـؤكل ثماره في كل وقت[6] نيئة ، ومطبوخة ، ومن يرى في النوم[2] أنه يجني[3] الرطب من النخل فتعبيره أنه ينتفع من رجل مؤمن ، والمؤمن في الحقيقة هو الإمام ، وهو رأس المؤمنين ، ونقول : إن من النبات ما يكون منه أدوية لطيفة ، يبلغ في اللطافة والفضل الى أن يكون ترياقاً ينجو به من أشرف على الهلاك ، ومنه ما يكون شفاء من الداء العضال[4] ، ومنه ما يكون دونه في الدرجة ، فالغاية والذروة منه دليل على الإمام الموجود الذي يكون في كلامه ترياق الأنفس وشفاؤها ، وخلاصها من الهلاك والأمراض والشكوك والاختلاف ، ومن الأدوية ما يكون مثل السم القاتل ، والأشياء المضرة مثلها كمثل الأضداد العاصيين لمنزلة الأئمة ، وهم السموم القاتلة الضارة ، المهلكة ، لمن سمع منهم وصحبهم أو مال اليهم ، إذا لم يلحقهم الإمام سلام الله عليه بالترياق الأعظم الذي يخلص الأنفس من الهلاك ، وهكذا الأحجار التي لا فائدة منها ، ولا ينتفع بها ، فمثلها كمثل الأضداد ، وكذلك قال الله عز وجل ، ﴿ حَطَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ[5] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ[6] ﴾ ونقول : إن الحيوانات[7] غايتها الفرس ، والطيور غايتها النسر ، والسباع الأسد ، وتفاوت أنواع الحيوانات وتفاضلهم في القوة ، والمنفعة وزيادة قبول الرياضة ، وبلوغ كل نوع الى غاية وذروة ، دليل على من يكون ذروة وغاية من جنس الحيوان ، أو من نوع البشر ، فيكون غاية الجميع ، وهو الإمام سلام الله عليه ، ومن النبات ما هو حلو طيب ، لذيذ شهي ، ينتفع به الناس ، ومنه ما هو

---

(١) في (آ) يفضل
(٢) في (ب) ظرف
(٣) في (ب) الاحلام
(٤) في (آ) يأخذ
(٥) سورة ٢١/ ٩٨
(٦) سورة ٢/ ٢٤
(٧) في (آ) الحيوان

مُر ليس فيه فائدة ، ومنها ما ليس له ثمر ، وهي ذات شوكة يتأذى بها الناس . فالحلو الطيب مثل على الأئمة ، ومثل على كلامهم وعلمهم الذي تشتهيه الأنفس[1] وتلذ الأعين ، والمر المنتن ذو[2] الشوكة مثل على أئمة الظاهر ، ولذلك قال الله عز وجل : ﴿ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ[3] ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ[4] ﴾

ونقول : إن النبات الطيب الرائحة، يستريح الناس بعبيره ورائحته، ويشفيهم من الداء والعلل، فغايتها فغايتها في الطيب والرائحة مثل على الإمام وكلامه الذي يرتاح له، ومنها المنتن الكريه المؤذي، وذلك دليل على أئمة الضلال وعلى كلامهم الذي تتأذى به الأنفس، وربما تهلك.

ونقول : إن الغزال الذي يكون منه المسك ، والنحل الذي يكون منه العسل ، فان اليعسوب[5] دليل على الإمام ، وكذلك قال النبي (ﷺ) لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (أنت يعسوب المؤمنين) وقال تعالى ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً[6] وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونْ ﴾ و ﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ[7] ﴾ ونقول : إن البشر غاية الحيوان والمواليد ، ونفع جيمع ما تقدم على البشر من الأصول والفروع والمواليد راجع الى البشر ، وظهور فضائل العالم وما فيه

---

(١) في (ب) الأعين
(٢) في (آ) له
(٣) سورة ١٤/ ٢٤، ٢٥
(٤) سورة ١٤/ ٢٦
(٥) اليعسوب ذكر النحل
(٦) سورة ١٦/ ٦٨
(٧) سورة ١٦/ ٦٩

من الحيوان والنبات وضررها ونفعها[1] وقيمتها وجودتها بالبشر ، ولولا البشر لما ظهرت فضائل[2] الأشياء ، ولا انتظم العالم ، ولا تم شيء منه ، ولا من انتفاعه ، ولا من ادخار شيء منه ، ولا من النبات والحيوان ، فان البشر هم[3] الذين استعملوا الماء وساقوه الى الأرض وجعلوه تحت العقود العقلية ، وأنبتوا من الأودية[4] والأنهار والآبار ، والبشر زرعوا الأراضي وغرسوها[5] وجعلوا فيها مساكن ، وسقوا النبات والزرع بالماء ، وجعلوا فيها مساكن الارض تحت العقود العقلية ، ثم إن البشر هم الذين استعملوا الرياح والهواء ، كما إن البشر هم الذين أخرجوا النار بالزناد من الطبائع وأظهروا في الحيوان ما لم يكن ، بمزاوجة أحدهما مع الآخر ، ووصلوا الأشجار بعضها ببعض حتى أظهروا منها ثماراً لم تكن معروفة في العالم. وأخرجوا الجواهر من المعادن ، وجعلوا الأشجار والحبوب والنبات التي فيها المنافع تحت الحكم والعقد . وحفظوا صلاح الحيوان والنبات وجعلوا إنتاج الحيوان تحت الحكم والعقد ، وكما أن غاية الحيوان والنبات ، والمعادن والمواليد هو البشر[6] ، ففيهم تم صلاح الحيوان ، وبهم انتظمت أموره ، كذلك كان الإمام غاية البشر وذروتهم وصفوتهم ، وكمالهم ، وبالإمام انتظمت أمورهم ؛ وكما أن نفع جميع ما تقدم عائد لخير البشر وراجع اليهم ، كذلك نفع وخير جميع البشر وصفوتهم راجع الى الأئمة ، فمنهم تعلموا الفضائل والعلوم ، وعنهم اقتبسوا العقول والدراية ، وبهم كان صلاحهم في أعمال دنياهم ودينهم ومعادهم ، وبهم اهتدوا إلى معرفة الصانع ، وعرفوا وجوب الشكر للمنعم وكيفية أداء هذا الشكر ، وبهم عرفوا الرسل ، وكيفية طاعتهم ، والأخذ عنهم[7] ، وكما أن نفع جميع الحيوانات[8] وما تقدمهم راجع الى

---

(١) في (ب) ضرها وعملها

(٢) في (ب) مناقب

(٣) في (آ) هو

(٤) في (آ) هو الأدوية

(٥) في (آ) عمروها

(٦) في (ب) المبشر

(٧) في (آ) سقطت

(٨) في (ب) أكثر الحيوانات

البشر ، وبحكم ذلك صار البشر سائسهم ، كذلك نفع جميع البشر راجع الى الأئمة الذين صاروا سواساً للبشر ومرشديهم وناهيهم ، ولولا الأئمة وإرشاداتهم[1] للبشر وهداياتهم ، وحفظ صلاحهم في معاشهم ومعادهم ، وحملهم على التمسك[2] بالفضائل والتجنب عن الرذائل وعن الشهوات الغريزية الحيوانية ، لما كان بينهم وبين البهائم أي فرق ، لأن الحيوان يصبح أفضل بكثير من الانسان الذي لا يقبل الرياضة العقلية ، ولم يتعلم من الأئمة الفضائل ، ولا يقتبس منهم ويأخذ عنهم العلوم العقلية الروحانية السرمدية ، يكون أشر من البهائم ، لأن البهائم[3] لا تفهم الفساد ، كما يفهمه الانسان ، وفي البهائم منافع كثيرة ، وخيرات عميمة ؛ أما البشر إذا لم يكن لهم عقل ودين ، فهم بنظري كلهم شرور وفساد وآثام ، ومن أجل ذلك قال الله تعالى : ﴿ إنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِنْدَ اللهِ ٱلصُّمُّ الْبُكْمُ ٱلَّذينَ لا يَعْقِلُونَ[4] ﴾ وقال أيضاً : ﴿ أولَئكَ كَالانْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أولئكَ هُمُ الغَافِلُونَ[5] ﴾ وكما أنه لو لم يكن البشر ، لما كان في خلقة الحيوان والنبات حكمة ، وما كان ينتفع بها هكذا .

ولولا وجود الأئمة لما كان في خلقة البشر حكمة ولما ظهرت الفضائل ، فالله أوجد البشر لقبول الفضائل والعلم ، والتمسك بأمور الدين ، لذا وجب تعلم العلم وأخذ الدين عن الأئمة ، ففيهم يقوم الدين وتتم أموره ، ولو لم تظهر فضيلة البشر بالدين ، لما ظهرت فضيلة النبات ، ولما كان في خلقة الانسان والنبات والحيوان حكمة ، ولو بطلت الحكمة في خلقهم ، لبطلت الحكمة في وجود العوالم كلها[6] ، فإذاً قد صح وثبت أن العوالم كلها خلقت لسعادة الانسان ، والانسان

(١) في (آ) مرشديهم
(٢) في (آ) التخلي
(٣) في (ب) الغنائم
(٤) سورة ٨/ ٢٢
(٥) سورة ٧/ ١٧٩
(٦) في (آ) جميعها

خلق للإستمداد من حكمة الأئمة ، ولقبول الدين منهم[١] وبهم تمت وظهرت فضائل الانسان ونظامه وقوامه ، وهذا يعطي الدليل الواضح على أن العوالم ، والخلائق جميعها وجدت من أجل الأئمة ، وجميع المنافع راجعة اليهم ، وسائر الخلق عيال وهم وكلاء عليهم ،[٢] يمدونهم بكل ما هو خير لهم وفيه السعادة الكاملة لوجودهم ، فمن آمن بهم وتمسك بعروتهم الوثقى ، ليس له عليهم منة ، ومن أخذ عنهم ، واسترشد بتعاليمهم نال السعادة الكلية في الدارين ، وحشر مع الملائكة والأئمة الطاهرين ، ومن تخلف عن ركبهم ، ولم يعترف بما لهم من حقوق وواجبات وفضل عليه ، كان جزاؤه غضب ومعصيته ، وقانا المولى الكريم من هؤلاء وأبعدنا عنهم ،[٣] وفي ذلك قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ مَا أفاءَ ٱللهُ على رَسُولِهِ مِنْ أهْلِ الْقُرىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ولذي الْقُرْبى والْيَتامى والْمَساكين وَآبنِ السَّبيلِ كَيْ لاَ يكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَٱتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ[٤] ﴾ . والفيء معناه الرجوع ، ولذلك أطلق على الظل فيء لأنه من ذلك الموضع خرج ورجع اليه ، وهذا دليل على أن جميع موجودات الدنيا من أجل الأئمة خرجوا ، ومن يتمسك بهم ويرجع الى ملكهم فقد فاء بهم وتظلل بظلالهم .

ونقول : إن النبات عندما يزيد على الأرض بذخر[٥] بروح واحدة[٦] هي روح النماء ، وتعتبر الأرض مسخرة للنبات تحتها ، فينبت عليها ، ويرشف القوة منها ، ولما زاد الحيوان على النبات بروح واحدة ، وعلى الأرض بروحين ، روح النماء وروح

---

(١) في (آ) اللذين معهم
(٢) في (ب) خلفهم
(٣) في (آ) معهم
(٤) سورة ٥٩/ ٧
(٥) في (آ) يسخر
(٦) في (آ) موجودة

الحس ، وبذلك يكون قد سخر الارض ومشى عليها ، وسخر النبات فأكل منه ، ولمَّا زاد الانسان على الحيوان بزيادة روح النطق ، سخرت له الارض وما عليها ، فزرعها ، وغرسها ، وجعلها تحت حكمه وعقده ، فأكل النبات والثمار ، واستعمل منها ما شاء كيفما أراد ، وسخر الحيوانات ، فركب ما احتاج اليه منها ، وذبح وحلب وجزَّ من صوفها وشعرها[1] واستعمله كيفما شاء جبراً على كره الحيوان ؛ فلما قام الإمام بزيادة الأرواح والقوى والصفوة الحسية ، لم يكن للبشر مثل ذلك[2] لأن غاية صفوة الحيوانات البشرية الاتحاد بالإمام ، ولطافة الطبيعة وغاية صفوتها ، وغاية الحيوان الحسية وصفوتها ، وغاية سعادة الفلك واعتدال الطبيعة ، وغاية لطافة تأثير الأفلاك والكواكب كلها[3] حتى أصبح هو روح العالم كله ، ولطائف روح النطق والفكرة الصافية ، وكلية الروح العقلي اتحد فيه ، وامتزجت فيه روح القدس الأعظم ، الذي لم يكن للبشر منه لا قليل ولا كثير[4] إلاَّ من جهة الإمام وبواسطته وبمنته على من اختاره ومَنَّ عليه ، واتحدت فيه روح الابداع [5] الذي هو روح السابع التام ، وقد أعده الله للبشر في عالم الجزاء ، وهو روح الوحدة الكلية . [6]

هذه هي بعض الفضائل الموهوبة له من الله تعالى المكتسبة منه التي لم يكن لأحد مثلها من الطهارة والأخلاق المرضية[7] والجود والسخاء والحلم[8] والشجاعة مما لا يمكن لأمثالنا تعداده ، ثم البعد والعصمة[9] عن كل ذنب وعيب ونقص . فلما جمع الله تعالى هذه القوى والفضائل والأرواح فيهم زيادة عن البشر ، سخر لهم

(١) في (ب) من شعرها
(٢) في (ب) هذا
(٣) في (آ) جميعها
(٤) في (آ) مثيل
(٥) في (ب) الابداعات
(٦) في (ب) سقطت الكلية
(٧) في (آ) العرضية
(٨) في (ب) الحكم
(٩) في (آ) سقطت العصمة

البشر بأجمعهم وملكهم جميع ما تقدم على البشر والخلائق من الحيوان والنبات ، والأرض بما فيها من معادن ، كما سخر للبشر وملكه الحيوان بزيادة روح واحدة ضعيفة ، وكما سخر النبات للحيوان بزيادة روح واحدة ضعيفة ، وكما سخر الأرض للنبات بزيادة روح واحدة ضعيفة ، كذلك بمقدار زيادة أرواح وفضائل الأئمة ، كانت زيادة تملكهم للبشر ، وجواز الحكم بينهم حسبما تقتضيه القوى والأرواح ، وبامكان الانسان أن يخرج من حكم الإمام وملكه وكذلك بمقدار الحيوان أن يخرج من حكم البشر ، وبذلك يبقى لا نفع فيه ولا فضيلة كالسباع الكاسرة[1] والزواحف المضرة ، لذا فقد حكم العقل والشرع بإتلافهم وقتلهم وهلاكهم لخروجهم عن طاعة الانسان[2] وعن حكم ملكه ، وهكذا من يخرج عن طاعة الإمام يتسبع[3] ويصبح مثل الوحوش[4] الضارية ، فيحل قتله ، ويباح إتلافه وهلاكه بحكم خروجه عن طاعة الإمام وملكه ، وعن الشرع والعقل وقوانين الطبيعة والسياسة والدين والدنيا ، ومن أطاع الأئمة وأخلص لهم ، وعمل بموجب تعليماتهم وإرشاداتهم نجا[5] من العقوبة في الدارين ، الدنيا والآخرة ، وصار من واجب الإمام سلام الله عليه بحكم الملك والسياسة والطبيعة والشرع ، المحافظة عليه ، والعمل لما فيه صلاحه وسعادته ، كما أن على البشر إذا ملكوا البهائم المحافظة على علفها ، ورعايتها ، وتقديم كل ما هو نافع عليها.

ومن انقاد الى حكم الأئمة ، وأخلص لهم بروحه وجسده ، يفيضون عليه من العلم والحكمة ما يجعله يعيش في راحة بال ، وطيب ضمير ،[6] ونقاء سريرة ،

---

(١) في (آ) الضارية
(٢) في (ب) البشر
(٣) أي أصبح سبعاً
(٤) في (ب) السباع
(٥) في (آ) تخلص
(٦) في (ب) نفس

فيخرج من دار عمله ، وفناء جسده ، الى دار بقائه وخلود روحه،[١] وأصبحت صورته الجسمانية مهيّأة لقبول الجزاء والبقاء . ومن انقاد لحكمهم على الجسد ، دون الروح يقع في الحيرة والشك والندامة ، ويصير دار جزائه معوج الصورة ، مجهول الصيرورة ، غير متهيأ لقبول الجزاء والخلود ، فالويل ثم الويل لمن تاه عن سبيل الرشد والهداية ، وتبع الضلال والغواية ، أعاذنا الله من هؤلاء وأرشدنا الى سواء السبيل إنه نعم الوكيل ، والنصير[٢] .

ونقول: إن الانسان في كل وقت وزمان يحفظ صلاح الحيوان ، ويجنبه[٣] عما يضره ويفسده ، ويسوقه الى ما ينفعه ، فيحفظ مشربه ومرعاه ، ووقت نتاجه ونسله ، ويبعده[٤] عما يكون فيه هلاكه ، ويمنعه عن تناول ما يضره من المآكل والمشرب ، وربما يحرص البهائم أنفسهم على تجنب ذلك ، والانسان يرعى مصالح الحيوان ويسيره بحسب رغبته جبراً على كره الحيوان ، وكذلك الإمام يحفظ عواقب أمور البشر ومصالحهم ، ويسهر على جميع أحوالهم وأسبابهم ومعاملاتهم ، شفقة منه عليهم ، ولولا الإمام لما كان للبشر نظام في دنياهم[٥] ولا خلاص لبعضهم من فساد من هو أقوى منه ، ولا نجاة من الاختلاف والعقوبة في المعاد، وكما أن البشر يحتملون من البهائم الأذى والضرر ، ويصبرون على سوء سلوكهم وآدابها حتى يتسنّى لهم صلاحها وإرشادها وحسن قيادتها واستخدامها ، كذلك الإمام يصبر على المخالفين ، لتعاليمه وإرشاداته ، فيحاول إصلاحهم وإرجاعهم الى رشدهم باذلاً في سبيل ذلك كل ما لديه من جهود[٦] لتغذيتهم بالحكم الرشيدة والعلم الغزير.

---

(١) في (آ) نفسه
(٢) في (آ) سقطت
(٣) في (ب) يبعده
(٤) في (آ) يرشده
(٥) في (آ) زمانهم
(٦) في (آ) سقطت من جهود

فلا يجوز لمن كان يعلم أصلاً بأن لكل ذي روح ما يوجب إفساده وإتلافه من غير موجب في الحكمة والشريعة[١] بل يلزمه العمل على خلاصه من الهلاك ، وإنقاذه من الدمار والخراب ، وهكذا حكم الأملاك الذي يوجب في الحكمة حفظها ومنعها من التلف والخروج عما ينفع الخلق ، فكذلك الأئمة عليهم السلام يصبرون على سوء آداب المخلوقات ، ويتحملون في سبيلهم الأذى والمشقة ، لما يوجب من حكم الملك ، وحكم العلم الذي يوجب إرشاد الجاهل ، وحفظ صلاحه ومنعه من الهلاك والتلف ، رجاء أن يرجع في العاقبة الى الصلاح والنجاة ،[٢] ولا ينظر الى سوء آدابهم وجهلهم ، ولا إلى قلة طاعتهم ، وتمردهم على الدين ، بل ينظر اليهم بعين الرحمة والشفقة[٣] . وهكذا نرى أن الوالد يتحمل من أولاده الصغار الأذى والمشقة والجحود والنكران ، ولكنه يترحم عليهم رجاء أن يبلغوا الى حد الانسانية ، وسن الرشد والهداية ، ونقول : أن المعلم يلاقي من الصبيان[٤] المشقة والصعوبة والنكران ، ولكنه يجبرهم على تعلم العلوم والآداب ، مع أنهم يكرهون ذلك ويبغضونه ، مختارين اللعب ، ومفضلين البطالة ، ولكن المؤدب يداريهم ، ويسايرهم ويراقبهم ، علماً بأنهم لو علموا ما في المعلم من الصلاح والتقوى والهداية ، لما كرهوه وأبغضوه وحقدوا عليه وعذبوه ، ولكنهم لن يدركوا ذلك حتى يبلغوا حد المعرفة ، عندها يعلمون نفع وفضل ذلك المؤدب[٥] فيأسفون ويندمون على تقصيرهم وخروجهم عن طاعة معلمهم ومؤدبهم ؛ فكذلك الأئمة صلوات الله عليهم يعملون على صلاح الخلق في الدنيا والدين ويتحملون في سبيلهم المتاعب والمشقات ، وهم يكرهون ذلك ، ويعترضون على معاملاتهم ، ولكنهم في العاقبة[٦] عندما يظهر لهم الصلاح والفلاح لمن اتبع ذلك يندمون على خروجهم عن

(١) سقطت الشريعة من (آ)
(٢) في (آ) التقوى
(٣) سقطت الشفقة من (ب)
(٤) في (آ) الغلمان
(٥) في (ب) المعلم
(٦) في (آ) الآخرة

طاعة الأئمة وموالاتهم[١].

ونقول: إن الانسان لما كانت خلقته من الطبائع المختلفة المتضادة، لم يخل من الأسقام والأمراض والعلل الطبيعية بتأثير الزمان والمكان، ومن تأثير الكواكب والأفلاك والأعداد[٢] والأشياء المتضادة للطبع، ومن كثرة الأكل وقلته[٣] ومن الإعياء والجماع وغير ذلك من أسباب العلل والأمراض؛ ولو كان الناس جاهلين بأمور الطب[٤] لضاعوا وأهملوا ولفني أكثرهم وهلكوا من كثرة الأمراض والعلل، وأدى ذلك الى خراب العالم، ولكن الله تعالى خلق الأدوية، وأوجد بازاء كل داء دواء، وأيَّد الأنبياء والأئمة، حتى عرفوا منافع الأدوية، وعرفوا السموات، كما عرفوا الأمراض. وفتحوا للخلق طريق الطب، وعلموهم أسسه وأصوله، وفروعه، وزادوا فيه بالتجربة والخبرة والدراية والتمرين،[٥] كما زادوا في سائر الحرف والصناعات والعلوم، مثل الهندسة، والفلاحة، والزراعة، والملاحة، وغير ذلك، حتى إنهم قاموا في الخلق أطباء، لمداواة الناس، وجمعوا الأدوية من البلدان الشاسعة الواسعة[٦] واجتهدوا في ذلك بعضهم بالنفع[٧] لنفسه، وبعضهم لصلاح البشرية[٨] يداوون الناس، تارة بالأشياء الطيبة اللذيذة العذبة،[٩] وتارة بالمرورة الحارة، ولعل المريض يكره من الطبيب المداوي ما يختاره[١٠] له من الأدوية والأشياء

---

(١) في (آ) سقطت موالاتهم.
(٢) في (آ) الأعواد
(٣) قلته سقطت من (ب)
(٤) في (آ) الحكمة
(٥) التمرين سقطت من (آ)
(٦) في (آ) الناصعة
(٧) في (آ) الخدمة
(٨) في (ب) الانسانية
(٩) سقطت العذبة من (آ)
(١٠) في (ب) ما ينتقيه

المرة النتنة ، ولكنه يسقيه منها كرهاً واختياراً ، ويبشره بصلاح العاقبة ، وينذره ويخوفه من الهلاك إن لم يشربها ويتداوى بها ، وقد يتحمل منه المشقة والمتاعب ، وربما أشار على المريض بأن يمتنع عن الأكل والشرب بينما هو يشتهي ذلك ويميل اليه ، ولكنه إذا تقيد بالحمية كرهاً أو اختياراً ، نال السعادة والشفاء العاجل ، وقد لا ينجع الدواء ، ولا تنفع الحمية ، فيزداد المرض ، ويضعف الجسد ويشرف على الخطر والهلاك ، فيأمر الطبيب المداوي بالشق والجرح والكي[1] وقد يضطر الى قطع بعض الأعضاء رجاء إصلاح ما يبقى من الجسد ، والعاقل المدرك يحتمل ذلك عندما يصح له ، ويعرف أنه أعلم منه بمصالحه ، وأنه مؤتمن أمين ، وأنه ينشد شفاءه وبرءه من جميع ذلك ، وإذا[2] لم يكن عاقلاً ، كره الطبيب وبغضه ، والطبيب يشفق عليه ويترحم ويستمر في تخليصه من علته ، لأنه إذا لم يتداركه هلك . وقد يضطر الى إعطائه الدواء كرهاً ، وربما يحاول المريض ضربه وقد يشتمه ، ويجفوه ، ولكنه يحتمل ذلك رحمة منه وشفقة عليه[3] لعلمه أنه لو كان عاقلاً مدركاً لما كره صلاحه ، بل يترحم عليه ويجازيه ، ويكافئه ، ويداريه حتى يتمكن من إصلاح ما فسد من جسده وبدنه .

ولمّا كانت الأمراض الدينية كثيرة ، واختلاف الناس فيها شديداً ، وأهواؤهم وميولهم متفاوتة متنوعة ، والأقاويل ، والبدع ، والإباحة ، متناقضة ، والآراء مختلفة متضاربة ، والنفس أمارة بالسوء ، والليل مدلهم ،[4] والطريق مشتبه ، والناس جاهلين بتطبيب الأنفس ومداواتها ، وحفظ صحتها ، وتجنيبها عن المواضيع المضرة بها ، والأشياء التي توجب الاحتماء بها[5] لجهلهم بمسالك الأمور الدينية

---

(١) في (آ) البط

(٢) سقطت اذا من (ب)

(٣) في (آ) له

(٤) في (ب) مظلم

(٥) في (آ) عليها

الصحيحة ، لذا كانوا بحاجة الى دليل وطبيب يداويهم ، ويمرضهم ، ويبين لهم طريق الرشد والهداية[1] وينجي أرواحهم ، بالرفق والشفقة والنصيحة ، والتحنن ، وقوة الاحتمال والصبر ، والتقوى والزهد والقناعة ومن المفروض أن يتحمل أكثر من الطبيب المداوي للأجساد أضعافاً بأضعاف لأنه لا يرجو من وراء كل ذلك جرَّ أية منفعة ، ولا جلب أية مضرة ، ويكونون أمناء وثقاة على الأنفس والأديان ، أكثر أمانة من أطباء الجسد ، وأكثر دراية[2] وتجربة ومعرفة لأن الضرر[3] والخطر في مداواة النفس أكثر من الخطر في مداواة الجسد ، والخطأ فيها أصعب وأجل[4] ووجوب ذلك اضطراري عقلي لا بد منه كما أن وجوب طبيب الجسد اضطراري لا بد منه ، وهذا الطبيب العالم الشفيق على الأنفس هو الإمام في كل وقت وزمان ، ولولا رحمة الأئمة وشفقتهم وتحننهم على الخلق لهلكوا دنيا وديناً وآخرة وأولى . فهم يداوون البشر[5] بالمداراة ، والرفق والاحتمال ، ولا ينظرون الى قلة طاعتهم ، وسوء سلوكهم وآدابهم ، وأفعالهم ، وإنما ينظرون اليهم بعين الشفقة[6] والرحمة ، ويجتهدون في حفظ صحتهم ومداواة أمراضهم ، تارة بالغذاء المعتدل ، اللطيف ، الذي يحفظ الصحة ، من العلوم اللطيفة المقوية للأنفس ، وتارة يقطعون عنهم الغذاء حتى لا يكون ثقيلاً عليهم[7] فيصابون بالتخمة ، وتارة يسقونهم الأدوية المرة والنتنة[8] كرهاً لتخرج عنهم الكيموسات[9] الفاسدة الردية ، وتارة يأمرونهم بالحمية حتى يضعفوا وتهزل أجسادهم ، ويبشرونهم ، وينذرونهم كما يفعل أمير المؤمنين مع هؤلاء

---

(١) سقطت الهداية من (آ)

(٢) في (آ) خبرة

(٣) في (آ) الحسد

(٤) سقطت من (آ)

(٥) في (ب) العباد

(٦) في (آ) المحبة

(٧) في (آ) معهم

(٨) في (ب) المنتنة

(٩) كلمة غير عربية وردت في التعابير الطبية ومعناها (الرواسب ، الأمزجة)

القوم ، وهم في جميع الحالات ينشدون الفساد ، ويريدون المعصية ، وهو لا يرى فيهم الصلاح ، ويصبر على أذاهم ، نسأل الله أن يجعلنا ممن ينتفع بمداواة إمام الزمان ، ولا يجعلنا ممن يحتاج الى الكي والقطع ، بالإعراض عنا ، ولولا رحمة الأئمة لما ظل[١] على وجه الأرض أحد كما قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَآبَّةٍ[٢] ﴾ ونقول : أن الحكماء وأهل البصائر المكلفين بعمارة الدنيا المتبعين لأفعال الله في خلقته للعالم وعمارته له ، وحفظ صلاح الخلق إذا[٣] رأوا أرضاً طيبة يعرفون أنها تقبل البذور ، وتنبت النبات ، ولاحظوا أن الماء بعيداً عنها في أودية عميقة سحيقة[٤] أو تحت الأرض إجتهدوا في استنباط المياه من تلك الأودية ، أو من تحت الأرض ، بحفر الأنهار والآبار والأقنية[٥] وساقوا الماء الى تلك الأرض الطيبة ، ولم يروا من الحكمة ترك هذه الأرض الطيبة الصالحة للزراعة والاستثمار[٦] معطلة ، ضائعة لا يستفاد منها ، وترك المياه بغير منفعة أو فائدة ، وذلك شفقة على الخلق ، وحفظاً لصلاحهم ، ومن أجل عمارة الدنيا ، وكذلك الأئمة عليهم السلام إذا رأوا الناس مهتمين ، لقبول بذور الحكمة السرمدية ، والعلوم الروحانية ، إلا أنهم بعيدون عنها ، فيجتهدون في الليل والنهار لتقريبهم وترويض عقولهم ، فلربما كانوا لا يعرفون قيمة هذه الرياضة حتى تبلغ اليهم ، ويكونوا متهيئين لقبولها ، إذ ربما نفروا منها إذا ألقيت اليهم دفعة واحدة ، فيلقون الحكمة الرياضية سلام الله عليهم في مثالات كثيفة ، إما بواسطة الكلام ، أو بالفعل ، وبذلك تقبل عقول المرتاضين تلك المثالات ، ثم يدرجونهم الى ماهية ممثولاتها ومعانيها ، فيرقونهم اليها[٧] ومن هذه الجهة يكون المستجيب قد اعتقد في

(١) في (آ) لبث
(٢) سورة ٣٥/ ٤٥
(٣) في (آ) فيما
(٤) سقطت في (آ)
(٥) سقطت في (آ)
(٦) سقطت في (ب)
(٧) في (آ) عليها

إمامة إمام الزمان ، وضرورة وجوده ، ويعرف أنه رأس العالـم ، وخليفـة الله في خلقه[1] وأن لا يعترض على شيء من أوامره ، ونواهيه ، وأقواله ، وأفعاله ، كونه يتمتع بالعصمة التي وهبه إياها الله ، فامتاز بها عن بقية المخلوقات .

ويعلم أن كل ذلك في الجملة حكمة وصلاحاً للخلق ، وإن كان قد أشكل عليه في أول الوقت[2] ويتبين له في النهاية فوائده ومحاسنه ، كما اتضح وتبين له أمور كثيرة مما لم يكن يعرف عنها الكثير ، ولا يخفى أن هنالك الكثيرين من أمثاله من[3] المؤمنين الذين يقومون بأمور الشريعة دون أن يعرفوا الغرض من وضعها ، أو الحكمة فيها،[4] وقد يستنكرون ذلك ، ولكن من رزقه الله منهم معرفة معانيها ، ظهرت له الحكمة فيها ، وكثيراً ما يشاهد هؤلاء أشياء في هذا العالـم لا يعلمـون الحكمة في خلقتها وإبداعها[5] ويعتقدون أن لا فائدة فيها ، ولا في إبداعها[6] ولكنهم إذا تبينوا الحكمة فيها لا يستنكرون . وقد يقولون لقد خلق الله كثيراً من الأشياء فيها الفساد والضرر ، وأن لا حكمة فيها ، ولا خير يرجى منها ولكنهم عندما يتوصلون الى معرفة وجه الحكمة فيها ، تطيب نفوسهم وتسكن من الاضطراب . ومن عرف الحكيم ، وأقر بأنه حكيم بالفعل ، فينبغي أن يقر بأن جميع ما يفعله، ويظهر عنه، حكمة منه، فهو لا يفعل شيئاً إلاَّ بالحكمة، ولا يأمر، ولا ينهي ، ولا يقول بشيء إلاَّ بالحكمة ، ولا يجوز للحكيم[7] العبث ، ولو جاز له أن يفعل شيئاً ، أو يأمر أو ينهي ، وليس فيما يفعله حكمة ، لكان ذلك عبثاً ، وهذا لا

(١) في (ب) مخلوقاته
(٢) في (آ) الزمن
(٣) في (آ) عن
(٤) في (ب) عنها
(٥) سقطت في (ب)
(٦) في (آ) خلقتها
(٧) في (آ) للحاكم

يجوز لمن اتصف بالحكمة ، ومن أقدم على فعل مثل هذه الأشياء ، يكون سفيهاً ، خارجاً عن الحكمة ، وإذا كان الاتيان[١] بهذه الأشياء لا يجوز لمن اتصف بالحكمة ، فكيف يجوز لمن يتمتع بصفة[٢] الإمامة أن يفعل فعلاً وتكون الحكمة في غيره ، أو الصلاح والتقوى في غيره ، وهو الحكيم المطلق الذي إذا منَّ بحكمته على أحد عبيده يصير حكيماً ، وهل من يفعل فعلاً يجوز أن تكون الحكمة والصلاح في غيره[٣] لأن فعله فساد وعبث ، نعوذ بالله ممن يعتقد في إمام زمانه مثل ذلك ، فإنه يكون قد أخرج عن الحكمة ،[٤] فإذا أخرج عن الحكمة ، فقد خرج عن إمامته ، وهذا هو الخروج من الدين ؛ عصمنا الله وجميع المؤمنين عن مثل هذا الظن ، وهذا الخطل ، وهذا الاعتقاد ورزقنا الرضا والتسليم لسيد البشر أجمعين ، مولانا أمير المؤمنين سيد العارفين ، ونقول : إن الأنعام السابلة[٥] التي فيها المنافع والفضيلة ، لا بد لها من راعٍ يرعاها ويحفظها ، ويختار لها مواضع علفها ومشربها ، ويرعاها من اللصوص والسباع ، والتي لا يوجد لها من يقوم بذلك تهلك ، ولا يمكنها تدبير أمورها[٦] ودفع الشر عنها ، فكذلك الناس مثلهم مثل الأغنام[٧] إذا لم يكن لها راعٍ يحافظ عليها تهلك ، والإمام هو راعي الكل يحفظ أمور الدين والدنيا ، ويمنع عن المؤمنين أعداء الدين والدنيا ، ولو كانوا متروكين لما بقي اثنان منهم ، ولا تخلص واحد من العذاب ، ومن هذه الجهة يسمون أهل المهالك[٨] رعية ، لأنهم تحت رعاية راعيهم ، والراعي في الحقيقة هو الإمام ، وسائر المدعين لها ، هم ذئاب كاسرة[٩]

---

(١) في (ب) العمل
(٢) في (آ) رتبة
(٣) في (آ) سواه
(٤) في (ب) من الحكمة.
(٥) في (آ) السالمة
(٦) في (ب) نفسها
(٧) في (آ) الانعام
(٨) في (آ) المماليك
(٩) في (ب) متوحشة

يفترسون الأغنام التي لا راعي لها ، ونقول : إن العالم مثله كمثل الجسد إذا لم يكن له رأس ، يكون جيفة نتنة ، لا فائدة[١] لها وكذلك العالم إذا لم يكن له رأس وسائس يسوس أمر دينه ودنياه ، تصبح البشر فيه سباعاً كاسرةً يفترس بعضهم بعضاً ، ولا يبقى العالم يوماً واحداً بلا رأس يحكمه ويسوسه ، والإمام إذاً هو رأس العالم وسائسه ومدبره ؛ ونقول أيضاً : إن أعضاء البدن الظاهرة تتفاوت وتتفاضل ، فأعلاها وأفضلها وأشرفها الرأس وفيه الوجه ، الذي يعرف به كل انسان ويميز بينه وبين غيره ، ومن الأعضاء الباطنة ، أفضلها وأجلها الدماغ[٢] وهو رئيس الجميع لأنه معدن العقل ، فكذلك الإمام هو بمنزلة الرأس من الجسد[٣] وبمنزلة الدماغ المفكر ، وعليه تدور أمور الخلق ، كما أن على الدماغ يدور عمل البدن ، وأن من القوى التي في الانسان أفضلها وأشرفها العقل .

والإمام هو العقل الكلي في العالم ، ومنه وبه تتحد جميع القوى في العالم[٤] ونقول إن الرئاسة موجودة في الطبيعة بالفطرة ، وهي موجودة في الحيوان ، والطير ، مثل الفحول التي تحفظ أناث جنسها وتؤدبها ، فالديك مثلاً يحفظ الدجاجة ويؤدبها ، وكل جنس ونوع يحفظ صغار ولده بمقدار طاقته ، ويمنع عن إناثه وعن ضعفاء جنسه ، والإناث والصغار هم بمنزلة المحتاج الى الاستفادة[٥] والتعلم ممن هو فوقه[٦] ، والكركي يطيع رئيسه ، كما أن النحل يطيع يعسوبه[٧] ولقد خلق الباري تعالى العالم ورتبه ونظمه ، ليطيع بعضه بعضاً ، بحسب الترتيب ، والتفاوت ، والتفاضل ، وزيادة القوة ونقصانها ، وشرف الخلقة وتنوعها ، ليعرفوا بأن لكل نوع

---

(١) في (آ) لا عمل لها
(٢) في (ب) العقل
(٣) في (ب) الجسم
(٤) في (آ) العوالم
(٥) في (آ) الاستفادات
(٦) في (ب) أعلاه
(٧) اليعسوب ملك النحل

وجنس غاية وذروة ، ورأساً في الشرف[1] والفضل يكون رئيساً وسائساً لها ، ومن هنا يتبين أن الرئاسة والسياسة ، واجبة في الطبع والخلقة ، والجبلة والفطرة ، ضرورية بالذات ، عليها ترتكز[2] أمور الحياة ، وهي عماد الدنيا والدين ، لها حق القيادة ، ومنها الإفادة ، ومن استطاع أن ينكر الشرع والدين ، لا يمكنه أن ينكر ضرورة السائس والرئيس ، الذي يدير العالم في العقل ، لا في العيان ، وقوة الحجة والبيان[3] ، وبما أن وجوده واجب ضروري ، فواجب إذاً أن يكون أفضل جميع المخلوقات ، والموجودات ، والمبدعات ، الروحانية والجسمانية ، وأشرفهم ، وأتمهم[4] ، وأكملهم ، وأعلمهم وأذكاهم ، بدليل ما ذكرناه من الخلقة والطبائع . على أن أفضلهم وأعلمهم وأجدرهم[5] هو الإمام المقدم على كل شيء ، الرئيس والرأس . ولا يقع اسم الإمام على المأموم ، ولا اسم الفاضل على المفضول ولا اسم السابق على المسبوق ، ومع ذلك فأهل الملل[6] والأديان والفلاسفة ، والدهرية ، والمعطلة ، يقرون ويقولون أيضاً أن سائس العالم ينبغي أن يكون أفضلهم ، وأتم القوم فضيلة وعلماً ، ودراية[7] وخبرة ، ولا يوجد في العالم سائس بهذا الوصف ، إلاّ الأئمة عليهم السلام ؛

ونقول: إن الفلاسفة جعلوا[8] السياسة على ثلاثة أقسام[9] : سياسة الخاصة ، وسياسة الحامة ، وسياسة العامة ، فقالوا إن سياسة الخاصة هي سياسة

---

(١) في (آ) الشرح
(٢) في (آ) تتمركز
(٣) سقطت في (آ)
(٤) سقطت في (آ)
(٥) في (آ) أقدرهم
(٦) في (ب) العلل
(٧) سقطت في (آ)
(٨) في (آ) وضعوا
(٩) في (آ) أنواع

الرجل لنفسه ، وسياسة الحامة هي سياسة الرجل لأهل بيته وعياله ، وسياسة العامة هي سياسته للمدن والأكوار[1] وقالوا ان سياسة الرجل لنفسه ينبغي أن تكون بحيث يمنعها عن جميع الرذائل والموبقات[2] ويجنبها الأخلاق السيئة والعادات البهيمية ، ويبعدها عن الشهوات المذمومة ، يسوسها سياسة الرجل الحازم العاقل المدرك ، قيهاً قيهاً ، إذا ساءت بالذم والندامة ، ويثيبها إذا أحسنت بالمدح والسرور والحرص على مثلها العليا ، وأخلاقها الفاضلة ، وقالوا إن سياسة الحامة : هي أن يسوس الرجل أهل بيته وعياله ، في حفظ صلاحهم ، وحملهم على التخلق[3] بالفضائل والأخلاق الرضية ، ويعاقب من يسيء منهم بالذم وغيره ، ويثيب من أحسن منهم بالمدح وغيره ، وسياسة العامة : هي سياسة المدن ، يسوس الرجل المدن في حفظ صلاح معاش أهلها ، ويمنعهم من التخلق بالأخلاق الذميمة[4] والقيام بالأفعال الردية ، ويحفظ لكل واحد منهم منزلته ، فيعاقب المسيء منهم بالذم ، ويثيب المحسن منهم بالمدح ، ويسوس أمور دينهم ومعادهم ، وهذا الذي وضعوا عليه اسم السياسة ، ولا يوجد في العالم ، ولا بين[5] المدعين الإمامة ، ولا بين السلاطين والملوك[6] ولا في علمائهم من تتوفر فيهم كل هذه الصفات ، لأنها لا تجتمع إلا في الأئمة من آل محمد ، وليس في العالم من عمل لايجادها[7] فيهم دونهم ؛ والفلاسفة مجمعون على أن من لا يقوم بسياسة نفسه ، لا تكون له السياسة على حامته ، ومن لا يحسن[8] سياسة الحامة ، لا يستطيع أن يوفق في سياسة العامة ، بوجه من الوجوه ، وباعتقادي أن أئمة أهل الظاهر ، وملوكهم وسلاطينهم ، وعلمائهم خالون من هذه

---

(١) في (آ) الكوران
(٢) سقطت في (ب)
(٣) في (ب) التمسك
(٤) في (آ) الردية
(٥) في (آ) وسط
(٦) سقطت في (ب)
(٧) في ()ب خلقها
(٨) في (آ) يتمكن

الصفات مجتمعة ، والذين قعدوا في مجالس الأئمة وتسموا بأسمائهم ، لم يسوسوا بأسمائهم ، حتى أنهم يتمكنوا من أن يسوسوا أنفسهم ، ولا أهاليهم ، ولا الناس ، أما هؤلاء الذين تراهم غارقين بالفجور والفسق والفساد ، ليسوا ضمن من تكلم عنهم الفلاسفة ولا يتمتعون بصفات الساسة ، لأن من[1] يجب أن تتوفر فيه تلك الصفات لا يأتي بمثل هذه الأعمال المخالفة للأنظمة والقوانين ، ولعل واضع تلك التراتيب كان غرضه من وضعها حث الناس على طاعة الإمام المتوفرة فيه هذه التراتيب[2] . فهو عندما يصف الإمام بصفة السائس ، فالهدف متى بحث الناس وطلبوا سائساً لهم يتمتع بتلك الصفات ، لن يجدوه في أي كائن حي حتى يتوهوا ويقبلوا على الإمام الحق المبين من آل بيت رسول الله[3] الغرّ الميامين[4] أصحاب النص في الدين والدنيا ، والمالكين زمام البشر ليقودوهم[5] لما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة حشرنا الله مع هؤلاء وثبتنا على طاعة الأئمة .

ونقول: لمّا كان الناس في وقت ولادتهم جاهلين ، لا علم لديهم ، لأن العلم لم يخرج معهم بالفطرة[6] ، ولا النطق ، لذا احتاجوا الى التعلم ، والدليل على أن العلم لم يخرج من الطبيعة أو بالفطرة ، هو أنه لو خرج من الطبيعة لكان الناس عالمين بالطبع ، متكلمين بالفطرة ، لا يحتاجون الى التعليم ، لأن نهيق الحمار ، ونباح[7] الكلب بالهند ، لا يختلف عنه في بلاد الروم والعرب ، ولو كان النطق والعلم مطبوعاً بالفطرة ، لكان مثل ما ذكرنا لا يحتاج الناس فيه الى التعليم ، ولكان الناس فيه متساوين لا يختلف أحد مع الآخر ، ولا لغة عن الأخرى ، كما ذكرنا في

(١) في (آ) مما
(٢) في (ب) الصفات
(٣) في (آ) الرسول
(٤) في (آ) المحجلين
(٥) في (ب) يأخذونهم
(٦) في (آ) بالطبيعة
(٧) في (آ) صياح

مثالنا عن نهيق الحمار ونباح الكلب ، فهو لا يختلف في موضع دون الآخر[1] ؛ ولمَّا كان الناس محتاجين الى التعليم ، وتعلم الواحد من الآخر ، الى أن ينتهي الى واحد ، لم يتعلم من واحد ، وإنما قبله بالتأييد ، لا بالتعليم ولا بغيره ، وأن حاجة الناس الى التعليم ، توجب وجود المعلم ، وتوجب للمعلمين نهاية ، وهو النبي (ﷺ) والإمام ، وهذا من أوضح الأدلة على إثبات[2] الإمامة والرسالة وضرورة وجودهما لتعليم الناس ما يفيدهم ويرشدهم سواء السبيل . ونقول : إن الباري تعالى[3] خلق البشر وجعلهم متهيئين لقبول العلم والحكمة ، ناقصين جاهلين ، ولو تركهم سدىً ما كان عليهم تكليف[4] ولا عمل ، ولا ثواب ، ولا عقاب ، ولما كان في خلقتهم[5] حكمة ، أيد الباري تعالى الأنبياء والأئمة ، وأعطاهم الحكمة ، والعلم والمعرفة[6] ليعلموا الخلق ، ويبينوا لهم طريق الرشد والهداية والحق ، وأوجبوا عليهم التكليف ، والأمر ، والنهي ، ولو لم يكونوا أئمة ما صاروا مكلفين ، ولم يكن عليهم حجة ، فالأئمة هم حجج الله على خلقه في كل وقت وزمان[7] منذ ابتداء تكليفهم حتى وقوع الناس في الاختلاف . فاذا وقع الناس في الفرقة والاختلاف والشقاق ، واحتج كل واحد منهم على الآخر ، بدليل آية أو خبر أو قياس ، فلا تقوم الحجة لواحد منهم على الآخر ، ولو لم يكن في العالم إمام ينجيهم من الاختلاف والشبهة ، ويهديهم الى طريق[8] الحق، ولما كان لِلَّه على الخلق حجة ، بل أصبحت الحجة[9] للخلق على الله ، حيث يقولون لم نجد[10] من يهدينا

---

(١) في (ب) مع الآخر
(٢) في (آ) وجود
(٣) في (آ) الله تعالى
(٤) في (ب) واجب
(٥) في (آ) وجودهم
(٦) سقطت من (ب)
(٧) سقطت من (آ)
(٨) سقطت من (آ)
(٩) في (آ) الحق
(١٠) في (ب) نرى

الى الحق ، واشتبه علينا الحق من الباطل ، فبالإمام تقوم حجة الله على خلقه[1] كما قال الله عز وجل في كتابه الكريم الشريف[2] ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ البَالِغَةُ[3] ﴾ ونقول : إن الموضوعات التي تنسب الى الحكماء في الحقيقة هم الأئمة ، ومنهم تقتبس أصول[4] كل علم وحكمة ، مثل الحساب والهندسة ، ولكل شيء من ذلك غاية ونهاية تدل على الإمام ، وذلك أن الأشكال الهندسية مثل[5] المربعات ، والمثلثات ، والمقوسات ، وسائر الأشكال أتمها وأفضلها الدائرة ، لأنها أصل الجميع ، ومنها يمكن أن يحمل المربع والمثلث والمقوس ، فإن المدور إذا زرع خرج منه المربع وتبقى المقوسات في الأطراف ، والمدور إذا أخذ قطره وعموده مستويين ، يكون أربع مثلثات ، وسائر الأشكال اشتقت كلها من الدائرة ، وكل شكل داخل فيها وهو التام ، وهكذا وضعت الأشكال[6] على مثال العالم والخلقة ، والدائرة جعلت من الأشكال دليلاً وشاهداً على الإمام الذي هو دائرة الدين وجميع الحدود داخلة تحت أمره ونهيه ، ومستفيدة منه ، وقد تستغني الدائرة عن كافة الأشكال ، ولكن سائر الأشكال محتاجة اليها ، وكذلك الإمام قد يستغني عن الحدود الذين هم في وقته وزمانه ، وجميع الحدود محتاجة اليه وهو محيط بالجميع ؟[7]

ونقول: إن أصل الأعداد وعلتها هو الواحد ، وهو أتمها ومستغنٍ عن الاثنين وما زاد الى الألف[8] . والألف وما دونها محتاج إلى الواحد ، والإمام واحد عصره

---

(١) في (ب) عباده
(٢) سقطت من (آ)
(٣) سورة ٦/ ١٤٩
(٤) سقطت من (آ)
(٥) في (آ) كالمربعات
(٦) في (آ) الشكليات
(٧) سقطت من (ب)
(٨) في (آ) الى الألوف

وزمانه ، وجميع الحدود محتاجة اليه، وهو مستغنٍ عنها ، فإن ظن بعض الناس أن الواحد يقع على باري البرايا ، فهذا الظن خطأ ، لأن الواحد علة الحساب ، وأصل الاعداد ، والاثنين واحد ، وكذلك[1] الثلاثة ، والواحد هو الإمام في حده ،[2] ومنزلته فرد لا يشاركه أحد من الخلق في عصره وزمانه ؛ ونقول : إن النقطة التي ذكرها علماء[3] الحساب بأن لا جزء لها ، وهي أصل الخط والسطح والجسم ، فذلك دليل[4] على الإمام الذي لا يبلغ أحد الى حده ، ومنزلته ، ولا يعرفه حق المعرفة ، ولا يقدر أن يصف[5] كنه صفته ، بل يقرون بالعجز عن مثل ذلك[6] ونقول أيضاً[7] إن الأيام سيدها الجمعة[8] والشهور سيدها شهر رمضان ، وفي الساعات ساعة واحدة يستجاب فيها الدعاء[9] وليس في العالم مخلوق ، ولا موضوع إلاّ وله من جنسه ونوعه ، غاية وذروة في الشرف والفضل[10] لم يبلغ اليها غيره ، وهذه الأمور كلها دلالة[11] على الإمام ، كما ذكرنا ، ولو تحدثنا[12] عن جميع ما يدخل في هذا الباب[13] لخرجت الرسالة عن حدها وفيما ذكرنا كفاية لمن تدبر ،[14] ويمكنه القياس على ما ذكرناه من الأصول والفروع ۰ والآن نذكر الاجتهاد في الفرائض وترتيبها

---

(١) في (آ) ومنها
(٢) في (آ) حدوده
(٣) في (ب) أهل
(٤) في (آ) اثبات
(٥) في (ب) يعرف
(٦) في (آ) عن هذا
(٧) سقطت من (آ)
(٨) في (آ) السبت
(٩) في (ب) الدعوات
(١٠) سقطت من (آ)
(١١) في (آ) استشهاد
(١٢) في (ب) ذكرنا
(١٣) في (آ) الكتاب
(١٤) في (آ) يريد

باختصار[1] فنقول : إن في الصلاة وترتيبها ، وقيامها ، واستقبالها ، ووقوف[2] الإمام قدام الصفوف ، أقوى دليل على إثبات الإمامة ، ذلك لأن النبي أمر أولاً باستقبال القبلة ، وهذه مأخوذة من القبالة ، وهي المحاذاة ، والمتوجه اليها يصوب وجهه الى الأمام ، ويقال أمام الشيء أي قبله وقدامه ، وهو ضد الخلف والوراء والبعد ، والإمام مشتق من معنى واحد ، وسُمِّيَ إماماً لأنه يؤم المصلين ، ويتقدمهم ، والإشارة الى القبلة ، هي الاشارة الى الإمام ، وأمر الناس بالتوجه[3] اليه والطاعة له في جميع العبادات[4] والأخذ من جهته ، وتوجه المصلي[5] الى القبلة في الصلاة ، يعني التوجه الى القبلة من جهة الإمام في كل عبادة ، والطاعة مفروضة وواجبة له[6] ، ثم كون أن صلاته مع إمامه على ما ذكره النبي (ﷺ) بقوله : إن صلاة الجماعة سبع وعشرون ، أهمها الصلاة مع الإمام ، والتوجه[7] اليه ، والاقتداء[8] به عن نية وفعل ، وهذا دليل على أن الطاعة ينبغي أن تكون للامام الأعظم ، والاقتداء به والتبعة له ، لأنه يأتم به ، لذا كان له[9] الفضل ، ثم يأمر بأن تنظم الصفوف ، ولا يكن أي تفاوت وخلاف أثناء القيام ، وهذا دليلٌ على أنه لا يجوز أن تختلف قلوب المأمومين المقتدين بالإمام ، لا بأفعالهم ، ولا بأقوالهم ، ولو طالت التلاوة[10] والسجود ، لا يخالفونه فعلاً ونية ، ولا يجوز أن يوافق البعض في الفعل ، ويخالف في النية ، فتفسد الصلاة ، وحتى إذا سها المأموم ، فالإمام يرفع

---

(١) في (آ) على الاختصار
(٢) في (آ) قيام
(٣) في (آ) التلفت
(٤) في (آ) الصلوات
(٥) في (ب) الانسان
(٦) سقطت من (آ)
(٧) في (آ) والتقبل
(٨) في (ب) الاعتقاد
(٩) في (آ) لذا له الفضل
(١٠) في (ب) الصلاة

عنه سهوه ، وهذا كله يدل على أن الامام الجزئي الذي ليس بالإمام المطلق مفروضة طاعته ، لزيادة الثواب أثناء العبادة ، فكيف يكون الثواب في طاعة الإمام الأعظم المطلق[1] الذي هو إمام جميع الشريعة وله حق التأويل ، فطالما لا يجوز مخالفة الإمام الجزئي في أفعال الصلاة ، فكيف يجوز مخالفة الإمام الحق من آل بيت الرسول[2] في أوامره ونواهيه ، وخاصة إذا كان المؤمن من أهل دعوته ، يعرف حقيقته الباطنية الجوهرية السرمدية ، داخلاً في ولاية الإمام ، فإن خالفه بفعل أو نية ، أو عزم فقد بَطلت صلاته ، وخرج عن حكم المصلي ، وفسد ركوعه وسجوده وقيامه وقعوده إذا كان في نيته عازماً على مخالفة الإمام ، وعليه في هذه الحالة أن يصفي نيته ويشرع[3] بالصلاة من جديد ، هذه حاله مع الإمام الجزئي الشرعي[4] فكيف إذا خالف الإمام الأعظم الذي أوجب الله طاعته كلياً؟ وقال النبي (ﷺ) : الإمام ضامن ، وليس المراد به إمام المصلين[5] لأنه مفتقر الى من يضمنه ، وإنما الإشارة في ذلك إلى الإمام الحق الذي يضمن تخليص المؤتم به من الشك والشبهة ، والحيرة والسهو ، ويضمن نجاته[6] ما دام مقتدياً به ، تابعاً له ، وقد أشار (ﷺ) الى مقام الإمامة وقدمها على الجميع ، وأمر المؤمنين أن لا ينافسوا إمامهم في القراءة ، وقال : إذا سجد الإمام فاسجدوا ، وإذا ركع فاركعوا ، وإذا قرأ فانصتوا ، وإذا سلم فسلموا ؛ هذه كلها إشارات الى وجوب[7] طاعة الأئمة وتعظيمهم ، والتسليم اليهم في جميع الأمور ، والثبات على معرفتهم في زمانهم ، ووجوب طاعتهم ، والتسليم إذا فرغ وسلم الأمر الى من يسلمه اليه منهم ، فلو لم يكن في الشريعة من الدلالة على الإمام وطاعته إلاّ

---

(١) سقطت من (آ)
(٢) في (ب) النبي
(٣) في (آ) يقوم
(٤) سقطت من (ب)
(٥) في (ب) المتقين
(٦) في (آ) خلاصه
(٧) في (آ) فرض

ما في الصلاة لكان كفاية[1] ، ثم بيَّن (ﷺ) أن الإمام يترفع عن السهو في الصلاة ، أي أن الإمام يرفع عن القوم زلتهم ، ويستغفر لهم ، لقوله تعالى مخاطباً رسوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُم ٱلرَّسُولُ[2] لَوَجَدُوا ٱللهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾ .

ولولا وجود الإمام المكلف برفع الغفران[3] وقبول التوبة لهذه الأمة ، لهلك الناس ، لأنهم بأمس الحاجة الى الغفران ، ولأصبح الأمر بينهم على خلف ما يقتضيه العدل[4] ، لذا أوجد الباري تعالى[5] ذلك وأبقاه وحفظه في كل وقت وزمان لمن أتى الإمام ، الذي يتوسل اليه تعالى لتخليص النفوس المؤمنة ، والأرواح الطاهرة ، من الشوائب والأدران التي علقت فيها . ونقول : إن صلاة الجمعة لا تجوز شرعاً[6] إلاَّ بالخطبة على المنابر ، وبالصلاة خلف الإمام ، ليقتدي المصلون فيه ، في كل جامع ، وفي أي بلد كان ، وبذلك يتضح أن ضرورة الاقتداء بالإمام واجبة مفروضة في كل مكان تقام فيه الصلاة جامعة ، ونقول : إن فريضة الحج واجبة لأنها تدل[7] بأجمعها على إثبات الإمامة ، لأن الحج معناه القصد ، والقصد يكون الى أمر معلوم ، موجوب حتى إذا ذكر القصد بالمعرفة ، يكون قصداً معروفاً ، لا يحتاج الى البيان ، وهو إشارة إلى القصد ، والى الإمام ؛ لأن المقصود من الحج هو زيارة الكعبة التي هي دليل في بعض التأويلات[8] الباطنية على الإمام ؛ ولمَّا كان وجودها[9] في بادية ليس حولها عمران لا يمكن

(١) سقطت من (آ)
(٢)سورة ٤/ ٦٤
(٣)في (آ) العربان
(٤) سقطت من (ب)
(٥) في (آ) الله تعالى
(٦) سقطت من (آ)
(٧) في (آ) تشير
(٨) في (آ) التأويل
(٩) في (ب) عمارتها

بلوغها إلاً بشق الأنفس ، وهي في موضع خال من الزرع والأشجار ، المنزهة عن المنفعة الدنيوية . وكذلك ممثولها لا يصل اليه أيضاً إلاً بشق الأنفس ، والتعب ، والمضرة من الأعداء ، لذا لا ينبغي لمن يقصد الكعبة أن يكون مقصده لأمر دنيوي[1] ، أو لطمع ، أو لمسرة ، أو لجاه، وكذلك لا يقصد القاصد ممثولها إلاً من أجل الدين الخالص والتفاني الذاتي المطلق ، والإيمان العميق .

ولا يهتم لشدة التعب ، أو لما يلاقيه من العدو ، فيضيق صدره ، وتتزعزع نيته ، وتهبط عزيمته ، فأوصيك يا أخي بالصبر والإيمان ، لتصل الى معرفة إمام الزمان ، وقطب دائرة الوجود ، الذي يوصل بواسطته الى الحي المعبود ، أوصلنا واياك اليه، وأسعدنا في تقبيل يديه ورجليه[2] ونقول: إن الطواف ، والسعي ، والرمي ، والاحرام ، والامساك عن الطيب ، والجماع[3] أثناء تأدية مناسك الحج ، كلها لها ممثولات تدل على إثبات الامامة ، والطاعة للأئمة مهما اختلفت أحوال المسترشدين ، فعليهم أن يحفظوا أنفسهم ، ويرموا المذاهب المذمومة المكروهة[4] ويبتعدوا عن العقائد الفاسدة ؛ ونقول : إن الله تعالى فرض على المؤمنين وجوب تزكية أموالهم ، والتصدق منها لحفظها وصيانتها ومباركتها ، وذلك دليل بيِّن على وجوب الإمامة لقوله تعالى عندما أمر النبي[5] بأخذ الصدقة من الناس فقال وهو أصدق القائلين . ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيهِمْ إنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ[6] ﴾ فبيّن فروض الزكاة ونصابها ، وكيفية أخذها ، ثم إنه

---

(١) في (آ) ديني
(٢) سقطت من (آ)
(٣) في (آ) النكاح
(٤) سقطت من (آ)
(٥) في (ب) الرسول
(٦) سورة ٩/ ١٠٤

أخذها بنفسه لكي يعرفوا[1] كيف تعطي ، وكيف تؤخذ ، وأخذ من جلس في مجالس الأئمة وادعى الأخذ له ، واحتج فيه على الأمة بهذه الآية وبفعل رسول الله (ﷺ) ، وحارب بني حنيفة على ذلك ، وقتلهم ، وأخذ من جلس[2] بعده حتى انتهى الأمر الى الذين أظهروا الفسق والفجور[3] ممن سموا أنفسهم أئمة ، وأثروا بمال الزكاة ، بعد أن أنكروا صاحب الحق فيها ، وما أعجب أمر هؤلاء الذين أقروا بأن الآية ناسخة حكماً ، وقراءة ، ليست[4] بمنسوخة ، وأن سنة النبي (ﷺ) جرت في أخذها ، ولا أدري كيف أجازوا تغيير حكم الأئمة وأوامر الله تعالى ، وتبديل[5] سنة رسول الله وسنة من ادعوا إمامتهم ، ولم يكن لهم في تغيير ذلك من قصد[6] إلاّ الابتعاد عن مراتب الأئمة ، ولولا وجوب الإمامة والأئمة لما حرمت الصدقة على النبي (ﷺ) حتى لا يتهموه في أخذها وكذلك حرمها على أهل بيته ، ليعرفوا ان الإمام منهم هو وحده الذي يقوم مقام النبي في أخذها ، وهم مؤتمنون على ذلك ، والمؤمنون يؤدونها بأنفسهم عن طيب خاطر لأن الله أمرهم بأداء ذلك وجعله فرضاً كما فرض الصوم والصلاة وغيرها من الفرائض التي يؤديها الانسان مختاراً ، بدون أن يجبر على ذلك لأنه ينتظر الثواب من صاحب الفرض يوم يغادر هذه الدنيا الفانية ، الى حيث يحاسب حساباً عسيراً[7] وليس كل من دفعت له الزكاة والصدقة مؤتمن عليها ، له حق التصرف بها ، فالباري تعالى أمر النبي (ﷺ) وحده القيام بذلك ، فلو جاز ذلك للناس بأنفسهم ، لجاز ذلك في عهد الرسول[8] وصاحبه لمن كانوا في زمانه وعصره[9]

---

(١) في (آ) يعلموا
(٢) في (ب) جاء بعده
(٣) سقطت من (آ)
(٤) في (آ) وغير
(٥) في (ب) تغيير
(٦) في (آ) رأي
(٧) سقطت من (آ)
(٨) في (آ) النبي
(٩) سقطت من (ب)

لأنهم أقرب اليه ديناً ويقيناً ، وأكثر أمانة وحفاظاً[1] ، ولا أدري كيف أجازوا الصلاة خلف من لم يأتمنوهم على الزكاة ، مع أن الصلاة أفضل من الزكاة ، وهذا دليل واضح على عدم الثقة بهم ، فلو كانوا صادقين فيما ذهبوا اليه لاعتبر من لا يؤتمن على أموال الصدقة والزكاة خائناً ، الخائن لا تجوز شرعاً الصلاة خلفه ، ولا الجهاد بين يديه ، ولا الحج معه ، ولا تقبل أحكامه على الدماء والأموال والفروج وإن كان القوم كاذبين فيما يدعون[2] فعلماؤهم الذين يفتون بذلك هم كاذبون ، وهم الذين يشهدون على إمامة هؤلاء ، وشهادة الكاذبين لا تجوز ، وقد أمر الله تعالى النبي (ﷺ) [3] أن يزكيهم ويصلي عليهم فقال وهو أصدق القائلين : ﴿ وتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ [4] ﴾ فجعل التزكية لهم ، والصلاة عليهم ، والسكن عوضاً لما أخذ منهم من الزكاة ، ولو جعل لأولئك الذين كانوا في عهد النبي (ﷺ) عوضاً من الزكاة ، ولم يجعل لمن بعدهم حاجة اليه كما كانوا في عهد النبي ، يكون ذلك ظلماً ، والله تعالى نهى عن الظلم للعباد ، أنه تعالى ذكر بالفريضة ، ولم يجعل لها عوضاً في الدنيا والآخرة ، وجعلها عادة وعرفاً[5] ولا تزال التزكية والصلاة والسكن باقية لكل من يأتي الإمام ويعطي زكاة ماله اليه ظاهراً وباطناً ، فيزكيه الإمام ويباركه[6] ويصلي عليه ، ولو لم يوجب الإمام إلاّ هذا لكان كافياً[7] والإمام بدوره يفرق[8] الصدقات على مستحقها[9] لأنه يعرف من الذي يجب اداؤها[10] اليه ، ومن

---

(١) سقطت من (ا)
(٢) في (آ) يقولون
(٣) في (آ) الرسول
(٤) سورة ٩/ ١٠٤
(٥) سقطت من (آ)
(٦) سقطت من (ب)
(٧) في (آ) خالصاً
(٨) في (ب) يوزع
(٩) في (آ) أهلها
(١٠) في (ب) اعطاءها

الذي لا يجوز له الاستفادة منها ، والإمام يحفظ بيت مال المسلمين ، ويصرفه فيما أوجب الوقت والدين .

ونقول : إن الجهاد أصل من أصول الدين ، ولا يجوز الجهاد إلاّ تحت راية الإمام ، ولا يقوم أمر الجهاد إلاّ بالإمام وذلك لأن الامام بحاجة اليه ، ليحافظ على المسلمين وأموالهم ، وأعراضهم وممتلكاتهم[1] وثغورهم ، وأسلحتهم ، ويرعى شئون جنودهم ، وينقذ الأسرى منهم من أيدي الكفار ويفاديهم، ثم لا يجوز أن تخرج سرية إلاّ وعليها أمير من جهة الإمام ، أو من جهة من أقامه الإمام ، والامام أعرف بأوقات الصلح وعقد الهدنة[2] وهو الذي يعقدها ، ويفاوض ويناقش بخصوصها[3] وهو الذي ينظر في أمر الاسرى فيعرف من يجوز عليه الفداء أو القتل ، والإمام أعرف بصلاح أخذ الخراج والمال ، ليكون للمسلمين جاهاً ورفاهية[4] ، ويعرف أيضاً الباغي الذي به تصير الفئة فئة حق لكونها معه ، والباغي الذي يخرج عن طاعة الإمام لا يجوز له محاربته[5] ولا القتال معه ، ولا يحق له عقد الصلح والهدنة بمشاورته[6] وقال الشافعي : لولا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما عرفنا قتال أهل البغي ، ولا الباغي من المحق ، ولا الخمس الذي جعله الله مخصوصاً لأهل البيت وللأئمة بدلاً مما حرمه الله عليهم من الصدقات ، فشروط[7] تقسيمه وتوزيعه[8] عليهم منوطة بالإمام ، ومتعلقة به ، لأنه حق من حقوقه المفروضة على كافة المؤمنين المخلصين ، وللأئمة الحق أيضاً في إعلان الأعياد وبدء شهر رمضان ،

---

(١) سقطت من (آ)
(٢) سقطت من (آ)
(٣) في (ب) بشأنها
(٤) سقطت من (ب)
(٥) في (آ) المحاربة معه
(٦) في (آ) بمعرفته
(٧) في (ب) أصول
(٨) في (آ) تقسيمه

وقبول شهادة الشاهد ، ولا تجوز مخالفتهم ، والاعتراض على أقوالهم ، والإمام يعلن الافطار وإقامة صلاة العيدين ؛ وصلاة الجمعة لا تجوز جماعة إلاَّ بالخطبة ، وهي موقوفة على الإمام وحضوره ، أو حضور من يكون مكلفاً[1] من قبله ، ولا يجوز رد الأربعة في الجمعة الى الاثنين إلاَّ بالخطبة الموقوفة ، ولا تجوز أيضاً اقامة الحدود إلاَّ للامام ، أومن أقامه ، كما لا يجوز الحكم بالقطع والضرب والرجم والحبس ، ورش الجراحات إلاَّ للإمام ، ولو لم تكن كل هذه الأشياء دلالة على إثبات الإمامة[2] لأهل بيت رسول الله لكان كفاية ما يجوز لهم من جهة الحدود ، واتفق المخالفون على أن من ليس له ولاية لا يجوز حكمه في الحدود ، فلو رأى رجل رجلاً يقتل آخر بغير حق ، ليس له أن يحكم[3] بقتله ، وإذا رأى أنه يسرق ، فلا يجوز[4] أن يأمر بقطع يده ، ولا برجمه ، ولا يجوز له الحكم في غير ذلك من الأمور المعروفة[5] ، وعند أكثر الناس لا يجوز لصاحب العبد أن يحدد مدة عبودية المملوك ولا أن يؤدبه ، لأن هذا حق من[6] حقوق الإمام ، والحدود بطبيعة الحال لا يمكن رفعها ، فلو رفعت لهلك الناس وخربت البلاد .

ولو جاز للناس إقامة الحدود ، لقصد كل واحد الآخر وضربه ، ثم ادعى أنه قتل رجلاً أو سرق مالاً ، فأقام عليه الحدود ، والذي يوجب عليه في كل يوم عشرون حداً ، فكيف يلي إقامة الحدود ؟ وكيف يجوز أن يحد ؟ ولو أجيز ذلك ، لجاز لكل واحد متغلب ، أو خارجي ، فبذلك يكون هلاك الناس ، ولو تمكنت الفئة الضالة[7] الباغية من إقامة الحدود ، وإتلاف النفوس ، فالإمام إذا تمكن منهم

---

(١) في (آ) متقدماً
(٢) في (ب) الإمام
(٣) في (آ) يأمر
(٤) في (ب) يصح
(٥) سقطت في (آ)
(٦) سقطت في (آ)
(٧) في (آ) الباغية

يغرمهم بقيمة كل ما أتلفوه من أموال وأرزاق وأملاك ، لأنهم ظالمون غاصبون ، والظالم والغاصب لا تجوز له اقامة الحدود ، وقد بين الباري[1] تعالى وأشار اليه في قوله الكريم : ﴿ اتأمُرُونَ آلنَّاس بِالْبِرِّوتَنْسوْنَ أنْفُسَكُمْ[2] ﴾ ومن ذلك يتضح أن من يحتاج الى أن يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر يجب أن يبدأ بنفسه، وقد خص الباري تعالى بذلك الأئمة من آل البيت[3] لتمتعهم بالعصمة حيث قال : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلْنَّاسِ تأمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وتَنْهوْنَ عَنِ الْمنْكَرِ[4] ﴾ ويعني قوله تعالى الأئمة الذين هم الشهداء على الناس يأمرون بالمعروف وينهون[5] عن المنكر ، وكيف يجوز لمن لا يفعل المعروف أن يأمر به ؟ ولمن يفعل المنكر أن ينهي عنه؟ وهل يجوز لمن يدعون أنهم أئمة للمسلمين ، وهم غارقون في الشهوة والسلطة[6] والتحكم في رقاب العباد ، أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، ويدعوا الفضل والأدب وهم غارقون في الرزايا والموبقات وشرب الخمر ، ويعتبرون من لا يسايرهم وينادمهم ولا يدخل معهم في الشراب ، فظاً غليظاً يبتعدون عنه ، ولا يستقدمونه ، ويعتبرونه ثقيلاً عليهم ، وهل يعتبر[7] أمثال هؤلاء بنظر من يأتم بهم أئمة حق ، فيشجعونهم على الفساد والفسق والفجور ، ليكسبوا عطفهم ورضاهم ، ويعيشوا في كنفهم .[8]

ونقول : إن الحكم بين الناس في الدماء والفروج والأموال متفق عليه أنه لا يجوز إلاَّ لمن يكون عارفاً عالماً بالحادثات[9] وبالفتوى فيها ، وبالأحكام والتنزيل ،

---

(١) في (ب) الله

(٢) سورة ٢/ ٤٤

(٣) في (آ) أهل البيت

(٤) سورة ٣/ ١١٠

(٥) في (ب) ينتهي

(٦) سقطت من (آ)

(٧) في (آ) يحسب

(٨) في (ب) ظلهم

(٩) في (آ) بالأمور

وبالمعاني ، والناسخ والمنسوخ ، وبالقياس ، قائماً بكافة الشروط حسب الفرائض والأصول[١] مأموناً على الدماء والأموال والفروج ؛ وهل يوجد بين الغاصبين مدعي الإمامة والخلافة من تتوفر فيه هذه الشروط؟ وهم الذين اعتمدوا على من سموهم بالفقهاء ، وتسبوهم الى العلم والمعرفة[٢] بغير حق ، ليعطوهم حطام الدنيا ، ويجلسونهم في مجالسهم ، ويولونهم الأعمال ، حتى إذا حدثت[٣] حادثة يقولون لهم ماذا تقولون في فلان ، فيقول أحدهم ، بقول أبي حنيفة : يجب عليه القتل ، ويقول الآخر بقول الشافعي: لا يجب ذلك، ويقول آخر بقول مالك: امرأته طالق ، ويقول آخر بقول أحمد بن حنبل : لا تحرم عليه امرأته ، وهكذا نرى أنهم سلموا أمور[٤] الدين لمن يريدون أن يحكموا بين الناس حسب اهوائهم ، ليتركوا رئاسة الدنيا ، ويشهدوا لهم بالزور ، فافتضح أمرهم[٥] ، وحاولوا الاصلاح فلم يفلحوا ، ولا أدري كيف لا يستحي من يدعي الإمامة ، وهو لا يعرف من أمور الدين إلاّ القشور ، ولا يعلم من الأحكام والأصول شيئاً ، فيلجأ الى أمثال هؤلاء العلماء والفقهاء ! فإذا كانوا حقاً علماء وفقهاء يكون الحكم[٦] بموجب أقوالهم وآرائهم ، فهم إذاً الأئمة ، لا أولئك الذين يدعون ، وليس بيدهم[٧] من الأمر شيء ، ولا ينفعون ولا يضرون ، والعجب كل العجب لمن يقتدي بهؤلاء العلماء ويأتم بهم ، إذ يكفي جهلهم[٨] وعارهم ، فالإمام مثل المأموم،[٩] والمأموم مثل الامام ، وإذا كان أئمتهم ليسوا من أهل الحكمة والولاية لأنهم لا يعرفون العلم ،

---

(١) سقطت من (آ)
(٢) سقطت من (ب)
(٣) في (ب) جرت
(٤) في (آ) شئون
(٥) في (آ) عملهم
(٦) في (ب) الأمر
(٧) في (آ) معهم
(٨) سقطت من (آ)
(٩) في (آ) المؤتم

ولا يقيمون بشروطه وأصوله وفروعه[1] وليست لهم عفة ولا صيانة ، فليسوا بالحقيقة أئمة ، وعند أكثرهم ممن يقولون بالاختيار أن الإمام إذا جار وفسق فقد عزل من الإمامة ، ويعزل بالفعل[2] عند البعض ، وكذلك القاضي عندهم إذا خان الوصي ، أو فسق لا يكون له ولاية ، وبعضهم يقول على الأئمة أن يعزلوا الإمام إذا جار أو فسق ، وقال الشافعي : ليس للفاسق ولاية ، حتى لو كان للرجل الفاجر[3] ابنة فليس له ولاية عليها ، وليس له أن يزوجها ، بل الحق للقاضي في تزويجها ، وشهادة الفاسق لا تقبل عند الجميع ، فإذا كان بالاجماع والاتفاق لا يجوز للأئمة الفاسقين[4] تزويج بناتهم أو قبول شهادتهم ، أو إقامة الحدود ، لأنهم كانوا مشهورين معروفين بأنهم زناة وفساق وأشرار[5] ، ومن يكونون بهذه الصفات ، فكيف يتمسك من بقي بسنتهم ، وكيف يسمى من يكون هكذا أميراً للمؤمنين وخليفة رب العالمين ، مفروضة الطاعة لهم ، والحكم والشهادة ، ولا أدري كيف يكون لمن يولوه[6] هؤلاء على الحكم ولاية ، وكيف يكون لمن يزكونهم كشهداء شهادة ، وكيف تكون أو تجوز شهادتهم ، فاذا قالوا أن فلاناً يصلح للقضاء والشهادة والولاية ، وهل في الدنيا أعجب من هؤلاء ،[7] ومن تناقض[8] أحكامهم ، وأصول مذاهبهم ، وأقوالهم ، وأفضح من إمامهم ومأمومهم ، ولو ذكرنا جميع متناقضات أصولهم ، وفضائحهم لاحتجنا الى التطويل ، ولخرجنا[9] عن الحدود ، والمقصود فيما ذكرنا يتبين بطلان إمامتهم ، والإقتداء بهم[10] ويتبين أن جميع

(١) سقطت من (آ)
(٢) سقطت من (آ)
(٣) في (آ) الفاسق
(٤) في (ب) الفاجرين
(٥) سقطت من (ب)
(٦) في (آ) ينصبوه
(٧) في (آ) منهم
(٨) في (ب) مناقضات
(٩) في (آ) بعدنا
(١٠) سقطت من (آ)

ما عملوا ويعملون باطل وفاسد[1] واعتداء، ويكفيهم ذلك عاراً وشناراً، فإذا بطلت إمامتهم كما ذكرنا، وصح منه أن الإمامة أصل من أصول الدين، وأن وجود[2] الإمام ضروري لا بد منه، وأن جميع الشرائع والأحكام منوطة به، ولمّا كان الأئمة الطاهرين من آل[3] طه ويس، معصومين عن الفسق والفجور والطغيان، والانفلات[4] والعدوان، لأنه تعالى طهرهم من كل دنس وعيب، يكفي للدلالة[5] على أنهم أحق الناس بها، شرعاً وأصولاً[6] وأن وجود واحد منهم ضروري، ولم يخل منه وقت من الأوقات، ولا زمن من الأزمنة، طاعتهم مفروضة على الخلق، وقيادتهم معقودة، وحدودهم موجودة معدودة؛ في كل زمان ومكان لإنقاذ البشرية من الضلال والفساد.

ونقول: لو جاز أن يكون على سطح[7] الأرض مخلوقات[8] ولا يكون فيها إمام يرشدهم، وخليفة يرعى شئونهم، لجاز ذلك منذ وقت آدم وهذا مخالف لقوله تعالى:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ[9] ﴾ وبيَّن الله سبحانه وتعالى في ذلك أن الامام ضروري وجوده ولا يمكن أن تخلو الارض منه، لأن القوم كانوا جهلاء وفاسدين، غير معصومين ولا مقدسين لا يمكن أن يستغنوا عمن

(١) في (آ) ظلم
(٢) سقطت من (ب)
(٣) في (آ) لأهل
(٤) في (آ) الأفلاك
(٥) في (آ) للإشارة
(٦) سقطت من (آ)
(٧) سقطت من (ب)
(٨) في (ب) مخلوق
(٩) سورة ٢/ ٣٠

يرشدهم ، وبيّن الباري[1] عز وجل في ذلك أنه لو جاز الإمـام بالاختيار ، لكان للملائكة حق الاختيار ، لأنهم كانوا معصومين من الميل والهوى والظلم ، والرغبة في ولاية أمور الدنيا ، ولمّا لم يجز[2] ذلك لهم ، لم يجز لمن هم دونهم ، وهذا المعنى مضمر في الآية ، لأن الله كما قال في حق الوالدين : ﴿ فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أفٍّ وَلاَ تَنْهرْهُمَا[3] ﴾ وقد نهى تعالى عما هو أكثر من ذلك مثل الضرب والشتم ، وذكر الباري قصة الأمم الماضية ، والأنبياء ليعرفوا أنه في دور النبي (ﷺ) يوجب ذلك ، ويكون كما كان في سائر الأدوار ، كما قال النبي[4] (ﷺ) : «كائن في أمتـي ما كان في بنـي اسرائيل » . وقال : «لتسلكن سبل من كان قبلكم ، خذوا النعل بالنعـل ، والقـذة بالقذة ، حتى أنهم لو دخلوا جحر[5] ضب لدخلتموه » . وفي قصة آدم دليل على أن الإمامة والخلافة لا تجوز بالاختيار ولا بالشورى ، ولو كان ذلك جائزاً لكان اختيار الملائكة أولى ، ومشورتهم أحرى ، لأنهم كانوا معصومين عن الحسد ، والبغي ، وفي هذا دليل على أنه ليس للقوم حق[6] أن يقولوا فلانٌ يصلح للإمامة ، وفلان لا يصلح ، أو يحبون الواحد ، ولا يحبون الآخر ، فالملائكة كما بينا لم يحبـوا ادم ، فأخبرهم الباري[7] بخطأ قولهم ، وأنّبهم ووبخهم ، وأظهر لهم بطلان قولهم ، وذكر ذلك[8] في القرآن[9] ليعتبـروا بذلك ، ولا يتكلمـوا في الإمامـة وفيمـن يختـاره الله ورسوله للإمامة كما فعلوا ، وفي إقامة آدم ابنه للامامة دليل على أن العالم لا يخلو من الامام ؛ والناس كلهم مقرون بأئمة دور آدم ، وناكرون أئمة دور محمد (ﷺ) وقد

(١) في (آ) الله
(٢) في (آ) يجوز
(٣) سورة ١٧/ ٢٣
(٤) في (آ) الرسول
(٥) في (ب) حخجر
(٦) سقطت من (آ)
(٧) في (آ) الله
(٨) سقطت من (ب)
(٩) في (ب) كتابه

بيّن الله في قوله ﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أرسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ولاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً[1]﴾ وقال : ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ آللهِ تَبْدِيلاً[2]﴾ وهي سنة الإمامة ، لا سنة أعمال الشريعة ، مثل الصلاة ، والصوم وغيره ، فإن النبي غير سنن جميع الأنبياء في العبادة ، ولم يغير سنة الإمامة ، ونقول : إن نوحاً لما دعَا الى الركوب في السفينة شفقة منه عليهم ، وعلماً منه بهلاك من يتخلف عنها باختياره ، لظنه أن صلاحه في ذلك ، وما أدى اليه حالهم من الفرقة ، وهكذا يكون حال من يدعيهم إمامهم ونبيهم الى أمر ويمتنعون عن تنفيذه ، فيكن هلاكهم في ذلك ، ولم تكن السفينة إلاّ الإمامة ، وما دعوة الناس لركوبها إلاّ للتمسك بالإمام ، وفي ذلك قال النبي (ﷺ) : «إن مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» .

وقد أقام نوح ابنه (ساماً) للوصاية والإمامة ثم سارت بعده من واحد إلى واحد بالنص والتوقيف حتى ابراهيم، والناس أجمعين[3] مقرون بأئمة دور نوح، ولكنهم ينكرون أئمة ال محمد ، والسنة ما غيرت ولا بدت[4] ولا استغنى الناس عن الإمام ، ولمّا قام ابراهيم وأمر بتعظيم النيران صح ذلك ، لأنه إشارة منه إلى تعظيم نور الامامة ، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم[5] ثم بنى ابراهيم واسماعيل البيت ، وأمر الناس بتعظيمه إشارة منه[6] الى أن الإمامة في بيته وفي عقبه[7] وحث الناس على تعظيم الإمامة ، وتعظيم أهل البيت وطاعتهم ، ولمّا قام موسى أمرهم بالتوجه الى بيت المقدس، وقال: كل من تتحد به روح القدس من بني اسرائيل فهو إمام ، وقام عيسى ولم يكن له بيت ، ولا ولد ، فأمر القوم بالتوجه[8] الى المشرق ، فإن صح هذا

---

(١) سورة ١٧/ ٧٧

(٢) سورة ٣٣/ ٦٢

(٣) سقطت من (ب)

(٤) في (آ) ولا غيرت

(٥) في (ب) سبق

(٦) سقطت من (آ)

(٧) في (آ) صلبه

(٨) في (آ) التطلع

القول ، فإنه قد أمرهم بالتوجه الى موضع شروق نور الإمامة ، أي الى من يشرق ذلك النور منه ، فهو الإمام ، والقبلة ، ولمّا قام خاتم الرسل والأنبياء ، أمر الناس بصرف وجوههم عن بيت المقدس والتوجه[1] إلى الكعبة ، وجعلها قبلة للمسلمين ، والكعبة هي التي بناها ابراهيم واسماعيل ، إشارة إلى أن القبلة رجعت الى بيت ابراهيم ، الذي هو بيت اسماعيل ، أي أن الامامة رجعت الى أولاد اسماعيل الذين هم أولاد النبي ، وأمر (ﷺ) الناس بتعظيم البيت والحج اليه ، وهذا ما لم يأمر به أحد من الأنبياء قبله ، وهو دليل واضح[2] على تفضيل أئمة ال محمد على سائر الأنبياء في الأدوار الماضية ، وهل في الدنيا أعظم ظلماً من هذه الأمة ؛ ومن أولئك الذين يقرون بأئمة كل دور من أدوار الأنبياء ، ويعترفون[3] بأن العالم لا يخلو من الإمام ، وأنه لم يكن قط في الأدوار الماضية[4] إمام باختيار ، وينكرون النص ، ويدعون الاختيار ، وربك يخلق ما يشاء ، ويختار من لم يكن لهم الحق[5] في اختياره ، ولو كانت الإمامة كما يدعون بالاختيار ، لاختار كل قوم من أحبوه ؛ وقد ذكر الشيوخ من قبلنا حديث النص والاختيار ، ونحن كنا قد شرطنا[6] أن نذكر في كتاب إثبات الإمامة ما لم يذكره الشيوخ ، وفيما قلناه[7] كفاية ، وقد ثبت أن الإمام يكون الأفضل والأعلم والأشرف .

ونقول : إن الفضائل التي ذكرها الله تعالى ، وفضل بها الناس بعضهم على بعض في ثلاثة أشياء : في العلم ، والجهاد والتقوى ، لقوله تعالى ﴿ فَضَّلَ

---

(١) في (آ) التطلع
(٢) سقطت من (آ)
(٣) في (ب) يقرون
(٤) في (آ) السابقة
(٥) سقطت من (آ)
(٦) في (آ) ذكرنا
(٧) في (آ) ذكرناه

الْمُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أجراً عَظيماً[1] ﴾ ﴿ دَرَجاتٍ مِنْهُ[2] ﴾ وقوله ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ[3] ﴾ وقوله تعالى[4] ﴿ إنَّ أَكْرَمكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ[5] ﴾ ولا يمكن لأحد أن يقول أن أبا بكر كان أعلم الناس ، وهو لم يكن يعلم من القرآن إلاّ ثلاثة عشر سورة ، وإذا كان لا يعرف القرآن ، فكيف كان يعرف تأويله ومعانيه وأحكامه ، وناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ؟ وهل يقدر أحد أن يروي لنا[6] عنه حكمة وعلما ، أو أحكاماً في حادثة ، حتى ولا عن عمر ، ولا عن غيره ، ومن يدعي ذلك فليأتنا به ؛ وأما الجهاد ، فالخاص والعام يعرفون أنهم لم يجاهدوا يوماً من الأيام بأيديهم ؛ وحروب أمير المؤمنين مشهورة معروفة ، ولو لم يكن لهم من المثالب في الجهاد إلاّ فرارهم يوم (حنين) يوم أمر النبي ووصيه المحافظة على الجبل[7] ، لكفى ، بينما النبي وأمير المؤمنين يحاربان ويقتلان من العدو حتى أهزموه[8] . وأما التقوى التي يدعونها ، فأين هي ؟ وقد اغتصبوا[9] حق أمير المؤمنين ، وحق أهل البيت ، وإذا قالوا إنه لم يكن لهم علم بذلك ، فليس هم إذاً بأتقياء، لأن التقوى لا تكون لأحد بلا علم ، ليعرف به ما يكون له وعليه ؛ ويحكى عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ، انه سئل من بعض المحتسبين أن يصنف كتاباً في الزهد[10] فصنف كتاباً سماه كتاب[11] (البيوع) فقيل له : ما معنى

---

(١) سورة ٤/ ٩٦

(٢) سورة ٤/ ٩٧

(٣) سورة ٣٩/ ٩

(٤) سقطت من (ب)

(٥) سورة ٤٩/ ١٣

(٦) في (ب) يذكر لنا

(٧) في (آ) حفظ الجبل

(٨) في (ب) انهزم العدو

(٩) في (آ) غصبوا

(١٠) سقطت من (ب)

(١١) في (آ) التقوى

هذا الاسم[1] فقال : من لا يحسن الفقه والبيع والشراء ، كيف يأكل الحلال ؟ ومن لا يأكل الحلال لا زهد له ، فإذا صح هذا القول ، وما ذكرناه من الآيات ، كانت الإمامة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب[2] لأنه كان الأسبق في الفضائل ، وكان أعلمهم وأتقاهم وأكثرهم جهاداً ؛ ونقول : إن هؤلاء لم يدعوا الفضل ، ولا العلم ، ولا التقوى لأنفسهم ، كما يدعيه لهم أصحابهم ، وذلك أن أبا بكر عندما صعد المنبر لأول مرة قال : وليتكم ولست بخيركم ، فإذا كان صادقاً فيما يقول[3] فالمدعون له كاذبون ، وإذا كان لا سمح الله[4] هو كاذباً، فالكاذب لا يكون إماماً ، فإذا قالوا كان ذلك للتواضع ، قلنا إن للتواضع موضعاً[5] فإن النبي (ﷺ) كان يذكر نفسه بما خصه الله تعالى به من المنزلة والمرتبة ، ولم يذم نفسه يوماً[6] ولم يدخل ذلك في التكبر ، بل كان يقول مفتخراً : أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أفصح العرب ولا فخر ؟ وكان أمير المؤمنين علي يقول : سلوني قبل أن تفقدوني ، لو ثنيت لي وسادة وجلست عليها لحكمت لأهل التوراة بالتوراة ، ولأهل الانجيل بالانجيل ، ولأهل الفرقان بالفرقان ، وأمثال ذلك كثير ، ولم يدخل هذا القول[7] في التكبر[8] ولا تركه للتواضع ؛ وفي قول أبي بكر : (وليتموني ولست بخيركم) دليل على أنه لم يقدمه الله عز وجل ، ولا رسوله ، ولا أشار اليه في أمر الصلاة ، ولا إلى غير ذلك مما يدعون ويتقولون[9] . ثم قيل إن[10] أبا بكر قال : (إن لي شيطاناً يعتريني ، فإذا

---

(١) سقطت من (آ)

(٢) سقطت من (آ)

(٣) في (آ) ذكر

(٤) سقطت من (ب)

(٥) في (آ) محلاً

(٦) في (آ) في ذلك

(٧) سقطت من (آ)

(٨) في (آ) الكبر

(٩) سقطت من (آ)

(١٠) سقطت من (ب)

أحسنت فأطيعوني ، وإن أسأت فقوموني) . وبهذا قد شهد على نفسه بالجنون ، لأن من يعتريه الشيطان فهو مجنون ، وقد ذكر أنه يأتي بالكبائر ، فيجب عليهم أن يمنعوه ويقوموه ، والمجنون الذي يعتريه الشيطان ، لا يجوز أن يكون إماماً بالاتفاق ، لأنه قد يأمر[1] المأمومين بما يوحيه[2] اليه الشيطان ، وقد أقر كذلك[3] على نفسه بأنه قد يسيء ، والإساءة هي المعصية ، ويدخل فيها الارتداد ، والزنى ، والقتل ، وكل شيء من هذا القبيل[4] ولربما يأمره الشيطان بكل ذلك ويحسنه في عينه ، كما قال الله تعالى ﴿ ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ[5] ﴾ وقد أخبر عن نفسه بأن كل ذلك متوقع عنه ، لقوله : فقوّموني، فالتقويم ، إنما يحتاج إليه في العظائم والكبائر ، لأن الصغائر قد تسقط[6] بالاستغفار ، وأخبر أيضاً[7] عن نفسه بأن ترفع عن الخلق طاعته ، وليس له عليهم طاعة عند ظهور الإساءة[8] عنه ، وبذلك شهد على نفسه أنه قرين الشيطان ، كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا[9] ﴾ ومثل الرحمن هو أمير المؤمنين ، فإعراضه عنه ، كان السبب في أن قيض الله له شيطاناً يعتريه ، فهو له قرين ، وشهد على نفسه أنه بحاجة الى تقويم الناس له ، فالذي يقومه ويعيده[10] الى الحقيقة هو الإمام ، لأن فوقه ؛ كما شهد على نفسه أنه معوج ، والمعوج لا يكون إماماً ، لأنه في وقت اعوجاجه واعترائه الشيطان ، قد يأمر الناس بالاعوجاج وربما يكون هذا الأمر[11] لطاعة الشيطان ،

---

(١) في (آ) يجبر
(٢) في (ب) يقول
(٣) سقطت من (آ)
(٤) في (ب) الخصوص
(٥) سورة ٢/ ٢٦٨
(٦) في (آ) تذهب
(٧) سقطت من (آ)
(٨) في (ب) الخطيئة
(٩) سورة ٤٣/ ٣٦
(١٠) في (آ) يرجعه
(١١) سقطت من (آ)

وعصيان الرحمن ، ولربما يأمره الشيطان الذي يعتريه[١] بالكفر والردة ، وقد يأمر الناس بما يكون قد اختار لنفسه ، والشيطان عدو الله ، فمن كان له قرين فهو عدو الله .

وهل في الدنيا أعجب من هؤلاء القوم؟ فلو قام مناد ونادى في السوق على نفسه أن له شيطاناً يعتريه إذا أساء فقوموه ، وامنعوه ، وإذا أراد[٢] أن يفسد ثياب الناس أو يحرقها أو يسرقها[٣] فقوموه ، وامنعوه ، فإذا دفع اليه أحد ثوباً ليبيعه مخافة أن يفسد ، ونكر ذلك ، فهل إذا شهد شاهد عدل عند القاضي أن له شيطاناً يعتريه فإذا كان قد أساء فقوموه ، يقبل القاضي شهادته ، فيما قيمته عشرة دراهم[٤] ؟ أفبعد هذا تدعون إمامته وتعتقدون بها ، وله أخبار كثيرة كلها حجة عليه[٥] .

وأما عمر : فإنه لما صعد المنبر بعد أبي بكر فقال : بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها ، فمن عاد الى مثلها فاقتلوه ، وبذلك بين بطلان ما ادعاه أهل الظاهر بأن إمامة أبي بكر للصلاة ، وأن البيعة أوجبت الإمامة أو كانت[٦] إشارة اليه بالإمامة ، وبطلاناً لكل ما يدعون وينقلون[٦] من الروايات[٧] والأخبار ، مثل قولهم أن النبي قال[٨] : «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر وعثمان » ، فذلك كذب وزور وضعوها وصنفوها[٩] بعدهم ، لأن عمر نفسه قال : كانت بيعة أبي بكر

(١) في (آ) يصاب
(٢) في (آ) شاء
(٣) سقطت من (آ)
(٤) في (ب) فلوس
(٥) سقطت من (آ)
(٦) سقطت من (ب)
(٧) سقطت من (آ)
(٨) في (آ) الأحاديث
(٩) في (آ) الرسول قال
(٩) سقطت من (ب)

فلتة ، فالفلتة هي التي تكون من غير تدبير وتفكير من قبل أن تجري التقدمة[1] وكل ما قيل وذكر من هذا القبيل فهو باطل لأن عمر أصدق منهم ، وهو الذي شهد أن ذلك الفعل[2] كان شراً ، ولم يكن خيراً ، والفعل الذي يكون شراً ، ليس هو من الدين والإمامة بشيء ، وأما قوله كانت فتنة وقى الله شرها ، فلم يق الله تعالى المسلمين[3] شر ذلك ، وحدث الخلاف المعروف[4] بتفرق شمل الأمة .

إن كل خلاف وضلالة ، وبدعة وظلم ، وقتل بغير حق ، واغتصاب مال وحقوق شرعية[5] ، وإباحة فروج ودم ، وتغيير في الدين من وقت النبي حتى هذا العصر ؛ لا نقول إلاَّ ما قاله العلماء والشيوخ[6] من سن سنَّة حسنة ، فله أجرها ، وأجر من عمل بموجبها[7] الى يوم القيامة ، ومن سن سنَّة سيئة فعليه وزرها ، ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ، وقيل : كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة سبيلها الى النار ، والبيعة في الإمامة لأبي بكر كانت[8] بدعة ، لكونها فتنة ، والفتنة تكون بدعة ، ولا تكون مِنَّة ، وكذلك شهد شاهد من أهله[9] بان جلوس أبي بكر لم يكن لفضل ، ولا لنسب ، ولا لعلم ، ولا لاجتهاد ، ولا لتقوى ، ولا لورع ، وإنما كانت فلتة ، وكانت شراً[10] وثبت ذلك بإقرارهم أنهم كانوا أشراراً ، والأشرار هم[11]

(١) في (آ) القدمة
(٢) سقطت من (آ)
(٣) سقطت من (ب)
(٤) في (آ) المشهور
(٥) في (ب) مشروعة
(٦) في (آ) المشائخ
(٧) في (ب) فيها
(٨) سقطت من (آ)
(٩) في (آ) قومه
(١٠) في (آ) كفراً
(١١) في (ب) من

أهل النار ، يجب قتلهم ؛ بقوله من عاد الى مثلها فاقتلوه ، وكل فعل يوجب القتل ، إذا ارتكب ثانية الفعل نفسه كما وجب في المرة الأولى[١] ، كقتل النفس مثلاً إذا أوجب في الفعل الثاني ، أوجب حتماً في الفعل الأول ، وما لم يوجب في الأول ، لا يوجب في الثاني ، وهل قال ذلك إلاّ خوفاً من أنهم إذا أجازوا مثل هذا المنكر[٢] ، وغيروا أمر الإمامة بانكارهم لفعل النبي (ﷺ) وفعل الله تعالى والقرآن والأخبار ، وفضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وإشهار النبي النص عليه يوم غدير خم ، وسائر الأخبار[٣] ، لقد نبذوا كل ذلك وأداروا ظهورهم ، وبنوا أساسهم ، بدون أن يكون له أصل أو حجة ولا برهان[٤] ، إلاّ البيعة بعضهم لبعض ، بعضها بالاختيار ، وبعضها بالكره ، فلكل من يريد الإمامة عليه أن يأخذ البيعة متى شاء وكيفما أراد له ولغيره ، بدون أن يكون بيديه حجة يدَّعي فيها إلاّ هذه[٥] البيعة التي أخذها ، وليس هو أحق من غيره فيها ، بل ادعى أنه أراد أن يحسم النزاع من تلك الجهة[٦] ، فأتى بمثل هذا القول ، وهذه الدعوة ، وإنما أجرى[٧] الله تعالى ذلك وقدره ليظهر عوراتهم ، ونفاقهم وكذبهم على سلفهم .

وأما قوله للمرأة حين خطب وقال : لا تغالوا في صدقات النساء الى آخر[٨] الخبر ، وقيام المرأة وردها عليه ، وقوله لمن كانوا[٩] حوله : «(كل الناس أعلم من عمر) ، أتسمعون مثل هذا ولا تردونه ، حتى ترده عليَّ امرأة من آخر القوم ،

---

(١) في (آ) السابقة
(٢) في (ب) الأمر
(٣) في (آ) الروايات
(٤) سقطت من (آ)
(٥) سقطت من (آ)
(٦) في (ب) الناحية
(٧) في (آ) فعل
(٨) في (ب) نهاية
(٩) سقطت من (آ)

وليست هي بأعلم الناس »؛ فهو دليل على أنه لم يكن يعرف القرآن ، ولا الأحكام ، ولا السنة ، ولم يكن حافظاً لما جرى طوال أيام النبي[1] ولا بعده ، من الأحكام حتى وقع في مثل هذا الخطأ[2] ولو وجه هذا السؤال لصبي لما أشكل عليه ، لأن هذه المسألة ليست مشكلة ، وبذلك رد على الله تعالى وعلى رسوله ، وشهد على نفسه بالحق ، حيث قال : كل الناس أعلم من عمر ، فأنصف نفسه ، ولكن أين من كانوا يرون ويسمعون مثل هذه الفضائح ، ثم بعد كل هذا يطيعونهم ، وهم كما قال الله تعالى ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ[3] ﴾ فإذا كان عمر صادقاً فيها ، لقوله كل الناس أعلم منه ، فلا يمكنهم أن يحملوا هذا القول على أنه تواضع ، لأنه خجل وعجز بالحال والحكم[4] ، يشهد على تصديق قوله وهو عيان ، وفي قوله دليل على أنه كان يأتي في سائر الأوقات ما كان يحتاج أن يرد عليه ، الى علي بن أبي طالب[5] وقد أكد ذلك في قوله : لولا علي لهلك عمر ، وهذا دليل على أنه لم يكن يعرف من الأحكام شيئاً ، ولم يحكم بشيء دون الرجوع[6] الى أمير المؤمنين ، ولولاه لتحير وافتضح أمره ؛ وفي قوله ، حين جعلت الشورى بين ستة أنفار : سأستخلف عليكم ، فقد اقتديت بمن هو خير مني ومنه ، يعني النبي (ﷺ) وبذلك شهد أن النبي لم يستخلف أبا بكر ولا أشار اليه ، ولا فوض الإمامة اليه ، وإذا لم يكن خليفة رسول الله ، أو إذا كان الأمر كما قال فلم لم يدع الأمر كما كان من غير أن يستخلف أبا بكر ، وإذا كان الواجب يقضي[7] بأن يختار الناس الخليفة ويبايعوه ويعقدوا له الإمامة ، فلماذا لم يدعوهم الى الاجتماع ليختاروا من يريدون؟ ولماذا عملوا تلك البدعة ، وأنكروا على الخلق ما كان مفوضاً اليهم ، وأن الواجب ما

(١) في (آ) الرسول
(٢) في (آ) العمل
(٣) سورة ٤٣/ ٥٤
(٤) سقطت من (ب)
(٥) سقطت من (آ)
(٦) في (ب) وجود
(٧) في (آ) يفرض

عمله أبو بكر فلم يقتدي به عمر ويجعل الأمر شورى بين ستة أنفار؟ ثم أفعاله من جهة[1] وضع الخراج والدواوين، والأرزاق وغيرها من البدع التي[2] يطول ذكرها ، أما عثمان الذي عمل ما عمل من الخيانة في بيت مال المسلمين ، وطرد أبي ذر من المدينة ، وضرب ابن مسعود ، ورد ابن مروان الحكم ، واستيزاره[3] وما عمله ضد محمد بن أبي بكر ، حتى خرج عليه بعض المهاجرين والأنصار فحاربوه ، بينما سائر المهاجرين والأنصار ينظرون اليه ، ويرونه أهلاً لذلك ولا يعينونه ، ثم لما قتل تركوه ثلاثة أيام دون أن يدفنوه ، غيظاً من أفعاله وسيرته ، حتى[4] أنهم لم يدعوه يدفن بجوار قبر النبي[5] (ﷺ) وأخرجوه[6] من مقبرة المسلمين ، ثم عادوا[7] بعد ذلك وطالبوا بدمه ، وحاربوا أمير المؤمنين ، ولو أردنا[8] أن نذكر كل فضائحهم والحجج عليهم ، والرد على مقالاتهم لطال الكتاب وفيما ذكرنا كفاية لمن أنصف ولم ينكر العيان .

والآن نذكر بعض فضائل ومناقب[9] ولي العصر والزمان عليه السلام ، وإن كان مثلي لا يبلغ الحد الذي يمكنه أن يعدد[10] فضائله ويعرف كنهها ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللهَ حَقَّ قَدْرِهِ[11] ﴾ ولكن أقول على مقدار علمي وطاقتي ،

(١) سقطت من (ب)
(٢) في (آ) مما
(٣) في (آ) استوزره
(٤) سقطت من (آ)
(٥) في (ب) الرسول
(٦) في (ب) نفوه
(٧) في (آ) رجعوا
(٨) سقطت من (آ)
(٩) سقطت من (ب)
(١٠) في (آ) يحدد
(١١) سورة ٦/ ٩١، ٢٢/ ٧٤، ٣٩/ ٦٧

وأمير المؤمنين أول من يقبل عذر عبيده ، كما أن الله تعالى مع كثرة نعمه على عبيده ، لم يطلب منهم الشكر على هذه[1] النعم ، وهم بدورهم[2] عجزوا عن إقامة الشكر بازاء النعم ؛ فسامحهم واقتصر منهم بقوله ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ[3] ﴾ تأديباً بالخلقة حتى إذا وجب شكر المنعم عليهم ، وعجزوا عن إقامة الشكر بازاء النعمة ، يأتوا بمقدار[4] طاقتهم ، ولا يدعون الشكر أصلاً لعجزهم عن أدائه بحسب واجبه ، ونقول : إن الله تعالى أشرق الأرض بنوره ، كما وعد وأخبر بقوله تعالى : ﴿ وأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا[5] ﴾ وأرض الظاهر بعد أمير المؤمنين، وأرض الباطن بالعلم والبيان، ونقول: إنه لما كان في كل نوع وجنس وأصل وفرع وشرع، غاية وذروة في الشرف والفضل والمرتبة والدرجة والمنزلة، لم يبلغ غيره اليها، لذا وجب[6] أن يكون للأئمة غاية وذروة ونهاية ، لم يبلغها[7] من مضى ، وتلك الغاية والنهاية ، هي أمير المؤمنين ، لأنه غاية الغايات ، ونهاية النهايات[8] التي لم يكن فوقها نهاية ؛ وكما أنه بقيام البشر[9] ظهرت حكمة العالم وما كان فيه من الحيوان والنبات الذين تم صلاحهم بالبشر ، والجميع يرجعون الى البشر بواسطة الأئمة ، فظهرت فضائل البشر بالحكمة في أخلاقهم[10] ورجع نفعهم الى الأئمة ، فكذلك بأمير المؤمنين تتم أمور الأنبياء والأسس والأئمة ، وتنتظم[11] أمورهم ، وتظهر[12] تمام

---

(١) سقطت من (آ)
(٢) سقطت من (آ)
(٣) سورة ١/ ٢
(٤) في (آ) قدر
(٥) سورة ٣٩/ ٦٩
(٦) في (ب) فرض
(٧) في (آ) يصلها
(٨) سقطت من (آ)
(٩) في (ب) الخلق
(١٠) في (آ) أعمالهم
(١١) في (آ) وتتم
(١٢) في (ب) تقوم

الحكمة في شرائعهم وموضوعاتهم وتأويلاتهم ، وهو مثل الرأس ، وهم كالجسد[١] ، أو كالبدن ، وأمير المؤمنين فيهم كالروح ،[٢] والجسد لا يتم إلاّ بالروح ، وأمير المؤمنين مثل القلب ، وسائر من مضى كالأعضاء ، وباتحاد الروح والحياة الى القلب ، تقبل جميع الأعضاء الحياة والجزاء ، ويأخذ كل ظفر وشعرة[٣] وطرف حظه من الجزاء بواسطة القلب ، والجزاء[٤] هو العمل الحسي الذي يحصل للانسان منذ ولادته حتى دار عمله ، طوال مدة وجوده[٥] في عالم الكون والفساد ؛ وبواسطة الإمام يقبل الله تعالى الأجر والمغفرة والتوبة ، يوم يدعون الى الحساب ، حيث قال الباري[٦] تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ آلنَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ[٧] ﴾ وهو الذي أمر جميع الخلق بالإيمان به وبيومه في قوله : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ[٨] ﴾ وهو تمامية البشر لأنه أجاز مواليد العالم وقبل جميع ما كان من سائر[٩] المواليد ، وزاد عليه بأشياء لم يكن لهمك[١٠] فيها حظ ، وكما أن الأئمة حصل لهم جميع ما كان للبشر من الفضائل ، فأصبحوا[١١] غايتهم ، وذروتهم وصفوتهم ، وبذلك أمكنهم قبول ما لم يكن للبشر قوة لقبوله[١٢] وتحمله ، ورجع اليهم نفع جميع من تقدمهم اليهم ، وكذلك رجع الى أمير المؤمنين نفع وفضل وعلم جميع من تقدمه ، وزاد على ذلك أضعافاً ، وكما أن قوة النبي (ﷺ) التي حوت

---

(١) في (آ) الجسم
(٢) سقطت (فيهم) من (آ)
(٣) في (آ) شعر
(٤) في (ب) الفعل
(٥) سقطت (مدة) من (آ)
(٦) في (آ) الله
(٧) سورة ٣/ ١٨٥
(٨) سورة ٣/ ١١٤
(٩) في (ب) جميع
(١٠) سقطت من (ب)
(١١) في (آ) صاروا
(١٢) في (آ) تحمله

على جميع القوى التي تقدمتها[1] ، وحاز على جميع علوم من مضى وزاد على ذلك ، كذلك أمير المؤمنين جمع علومهم وفضائلهم وزاد عليها ، وتجسدت في ذاته الشريفة قوة الأنبياء والمتمين[2] والحكماء ، وزاد على ذلك أشياء عجزوا عنها ، ولولا قيامه بهذه المنزلة المقدسة[3] لما كانت علومهم وحكمتهم ، تامة ، سرمدية أبدية على مر العصور والأزمان ، وقد تجسدت جميع العوالم الجسمانية والروحانية والوضعية بأمير المؤمنين وخلقت كلها لأجله ، وجميع من تقدمه كانوا عماله ، ودعاته[4] ، وهو الذي قام في العالم بتمام الخلافة لباري البرايا في خلقه[5] وسُمِّيَ المتم لكافة الأدوار التي سبقت دوره ؛ ولعل قائلاً يقول : إن هذه الصفات لا تكون إلاَّ للقائم الأخير[6] ، باعتبار أن أمير المؤمنين ليس هو الأخير ، لأنه قائم وقته وزمانه ، وقائم من مضى ومتمهم ، وهو السادس الذي يكون تمام السابع به ، وهو يمد السابع بما يحتاج[7] اليه ، كما أن النبي (ﷺ) وضع كل ما يحتاج إليه القائم لتمام الدور السابع ، أما الذي مضى فإنما يتم بالتاسع ، كما أن تمامية الأعضاء السبعة ونظامها وعملها تظهر بالتسعة ، بأربع طبائع ، وخمس حواس[8] وتمام الخلقة تكون بتسعة أشهر ، والحساب وضع على التسعة ، وحيوانات دار البقاء تقوم بأربع طبائع روحانية ، لقوله[9] تعالى ﴿ وَإِنَّ دارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ[10] ﴾ وأمير المؤمنين هو الثاني في حساب آخر وابتداء كل دور ، أحكم أمره بالثاني وهو السادس الذي يفتح

---

(١) في (ب) سبقتها
(٢) في (آ) متممين
(٣) سقطت من (آ)
(٤) في (ب) دعاة له
(٥) في (آ) مخلوقاته
(٦) في (آ) المتم
(٧) في (ب) يكون
(٨) في (ب) إحساسات
(٩) في (آ) لذكره
(١٠) سورة ٢٩/ ٦٤

الله بسيفه جميع العوالم[1] كما فتح النبي السادس من آدم ؛ فقد قام في العالم بتمام الخلافة لباري البرايا في خلقه ، يعامل الخلق في جميع أحوالهم مثل معاملة الله تعالى لخلقه ، في خلقتهم وأرزاقهم ، وسعة الرحمة لهم ، كل من قام قبله ، قام بجزء يسير[2] إلاَّ أمير المؤمنين فقد[3] قام بالكل ؛ والخليفة هو الذي يقوم فيمن استخلف عليهم ، بجميع ما قام المستخلف به ، وإنما سُمّي آدم وسائر الخلفاء من بعده ، (خليفة) لأنه كان أول من قام بالخلافة ، والذين قاموا بعده أتموا بعض شروط الخلافة فتسموا بذلك الاسم ، ومن يقوم ببعض الشيء يسمى باسمه ، ولما كان أمير المؤمنين قد قام بحقيقة الخلافة دنيا وديناً ، أصبح ظل الله في أرضه ، لقول النبي (ﷺ) السلطان ظل الله في أرضه، وظل الشيء يساوي[4] كل ما فيه؛ وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً[5]: لقد نزع الله بالسلطان أكثر مما نزع بالقرآن. وأمير المؤمنين هو الذي نزع الله به ما لم ينزع بالقرآن. وقال الفلاسفة: إن الفلسفة هي التشبه بالباري تعالى[6] على حسب طاقة البشر وإدراكهم[7] والتشبه بالباري من حيث أن يفعل مع خلقه مثل ما يفعله تعالى ذكره، ويعاملهم مثل فعل الله تعالى معه ومع الخلق، على مثال الخلقة، وهذا الكلام سرقه[8] الفلاسفة عن أهل الحقيقة، لأنه لم يقم بهذه المعاملة، وتطبيق[9] هذا القول بالفعل[10] إلاَّ أمير المؤمنين، لأن جميع

(١) في (ب) العالم
(٢) في (ب) قليل
(٣) سقطت من (آ)
(٤) في (آ) يشبه
(٥) سقطت من (ب)
(٦) سقطت من (آ)
(٧) في (ب) دركاتهم
(٨) في (آ) أخذه
(٩) سقطت من (آ)
(١٠) سقطت من (آ)

معاملته للخلق مثل معاملة الله لخلقه في خلقه، كالعلم، والرزق، والحكمة، والفضيلة، والعدل، والصدق، والايمان[١] ، وغير ذلك[٢] .

ونذكر الآن شيئاً يسيراً مما يليق بهذا الوقت الذي نحن فيه ، ونبدأ أولاً فنقول : إن شفقة أمير المؤمنين ورحمته وإحسانه وعفوه ، وما احتمله من سوء[٣] آداب هؤلاء القوم لقلة طاعتهم . بحيث لا يمكن لمثل من كانت هذه صفاته[٤] الإقتداء بأفعال الله تعالى وخلقه ، والتأدب بآدابه ، واتباع أوامره ، لأن الله تعالى مَنَّ على خلقه بإحسانه الى البار ، والفاجر ، والمؤمن والكافر ؛ فلو أعطى سبحانه الدنيا للمؤمنين ، ومنعها عن الكافرين لكان إيمان الخلق بالدنيا وأمورها[٥] لا لدين الله ، ولو أعطى الدنيا للكافرين ، لرجع أكثر الناس عن إيمانهم ، ودخلوا في الكفر ، والله تعالى أعطى الكافر ومنع الكافر ، كما أعطى المؤمن ومنع المؤمن ، وأعطى تعالى[٦] كل واحد منهم في وقت ، ومنعهم في وقت ، كذلك أعطى أمير المؤمنين الدنيا للمسلم ، والكافر ، ومنعها عن المسلم وعن الكافر ، وكذلك أعطى المؤمن والمنافق ، ومنع عن المؤمن والمنافق ، أعطى كل واحد منهم في وقت ، ومنع عنهم في وقت ، ولو أعطى الشيء[٧] كله للمؤمن لكان إيمان الناس أكثره للدنيا ، ولو منع عن جميع المؤمنين في جميع الأوقات ، ليئسوا وفترت نياتهم ، لذا أعطاهم بحسب حاجاتهم ، ما فيه صلاح حالهم[٨] حتى لا يصبحوا[٩] من جملة من وصفهم[١٠] الله

---

(١) سقطت من (آ)
(٢) في (ب) وغير هذه
(٣) في (آ) قلة آداب
(٤) في (ب) أحواله
(٥) سقطت من (ب)
(٦) سقطت من (آ)
(٧) سقطت من (ب)
(٨) في (آ) صلاحهم
(٩) في (ب) لا يكونوا
(١٠) في (آ) ذكرهم

تعالى بقوله[1] : ﴿ كَلاَّ إنَّ الانْسَانَ لَيَطْغَى أنْ رآهُ اسْتَغْنى [2] ﴾ وإن الله أعطى الدنيا للبار والفاجر حتى لا يكون فعل البر بسبب الدنيا ، والإمساك عن الفجور بسبب الدنيا ، فيذهب عنهم[3] أجر الآخرة ، والإمساك عن العصيان بسبب الدنيا ، يذهب عنهم حظ الآخرة ، بل يصبحوا[4] خالصين من الله تعالى ومن[5] دينه ، وكذلك أمير المؤمنين يعطي للبار والفاجر .

والله تعالى أعطى الدنيا أيضاً[6] لمن يطيعه ، ولمن يعصيه ، حكمة منه حتى لا تكون الطاعة له[7] بسبب الدنيا ، والامساك عن العصيان بسببها أيضاً[8] بل يكون كل ذلك خالصاً لله عز وجل وفي سبيل الله[9] وكذلك يعطي أمير المؤمنين للعاصي والمطيع تمثلاً[10] بفعل الله تعالى حتى لا تكون طاعة الخلق له من جهة الدنيا ، فيذهب عنهم حظ الآخرة ؛ والباري[11] منح الدنيا للعابد ، وغير العابد ، لئلا تكون عبادة الخلق للدنيا ، وكذلك يعمل أمير المؤمنين من أجل سعادة[12] الخلق وخلاصهم[13] ، وينظر اليهم بعين الرحمة والشفقة والعطف والمودة[14] .

---

(١) سقطت من (آ)
(٢) سورة ٩٦/ ٧٢٦
(٣) سقطت من (ب)
(٤) في (آ) يكونوا
(٥) سقطت من (آ)
(٦) سقطت من (ب)
(٧) سقطت من (ب)
(٨) سقطت من (آ)
(٩) في (آ) سبيله
(١٠) في (آ) اقتداء
(١١) في (ب) الله
(١٢) سقطت من (آ)
(١٣) في (آ) تخليصهم
(١٤) سقطت من (آ)

وأعطى الله الدنيا للأحمق والجاهل ، والعالم والعاقل ، ومنعها عنهم[١] وكذلك يعطي أمير المؤمنين للأحمق والجاهل ، والعالم والعاقل ، حكمة منه وفضلاً ، فلو أعطى العالم والعاقل ، ومنع عن غيرهم لكان تعلم الناس العلم من أجل[٢] الدنيا ، ولكان استعمالهم العقل ، وتمسكهم[٣] بالفضائل للدنيا.

وهكذا نرى أن الله تعالى أعطى الدنيا للأحمق والجاهل ، والعالم والعارف ، والسخي والبخيل ، والشريف والدنيء والوضيع ، ولصاحب كل فضيلة وكل رذيلة ، ولقد ساوى فيما بينهم في العطاء الدنيوي ، حكمة منه ورحمة وفضل ، كذلك أمير المؤمنين ، ساوى بين الجميع اقتداء منه بأفعال الله تعالى ورحمته لخلقه ، ليصل لكل واحد الإحسان والبر ، بالقسط ؛ وأن الله تعالى[٤] ستر أمور الدنيا ، ونيل الخلق منها ، والسبيل اليها في جميع الوجوه ، وستر وجوه المكاسب والأفعال على الخلق ، حتى يستغني الواحد ، ولا يجد الآخر الخير ، والواحد يسعد[٥] في التجارة ، بينما يذهب رأس مال الآخر ، والواحد يجود عليه[٦] زرعه ، بينما يذهب بذر الآخر ، والواحد يستفيد من الصيد ، بينما الآخر يحرم منه ، وذلك لحكمة بالغة لئلا يوجد في أسباب الدنيا وصولٌ ، فتبطل سائر الأسباب ، ويدخل الخلاف[٧] في الخلق ، فيتحزب العالم ، وعلى هذه الصورة كانت معاملة أمير المؤمنين مع خلق الله تعالى في الدنيا ، وقد ستر عنهم أسباب ذلك ، وقد يتسبب اليه الواحد بسبب فيعطيه[٨] ، ويتسبب الآخر بنفس السبب فيمنعه ، ولو عرف الناس سبباً واحداً يصلون به عند أمير المؤمنين الى الدنيا لبطلت سائر الأسباب ، وليئس من رحمته كل

---

(١) في (ب) فيهم
(٢) في (آ) للدنيا
(٣) في (آ) اقتناءهم
(٤) سقطت من (آ)
(٥) في (آ) يستغني
(٦) في (آ) يستغني
(٧) في (ب) الخلف
(٨) في (آ) يمنح

من عجز عن ذلك لأنه صار محروماً منها ، وكذلك في معاملته عليه السلام[1] للناس في تعريبهم وتبعيدهم اليه ، فلو كان يبعد المنافق ، ويقرب المؤمن لصار الناس كلهم مؤمنين لتقريبه لهم ، وليس من أجل[2] الدين ، وكذلك لو أبعد جميع المؤمنين في كل[3] الأوقات، لنفروا منه، ووقع في قلوبهم الفزع من غضبه عليهم[4]، أو من زلة صدرت[5] عنهم، فأوجبت ذلك، ولا يزال أمير المؤمنين يعاملهم بما يقتضيه[6] الوقت والحال، ترغيباً ، وترهيباً ، وتبعيداً وتقريباً، وإعطاء ، ومنع ، وعقوبة وعفو[7] ، مقتدياً بفعل الله ، وآدابه ليكون الناس أبداً بين الخوف والرجاء . لا يأمنون فيجترأون ، ولا ييأسون فيوقظون[8] مقتدياً في جميع ذلك بآداب الله تعالى مع خلقه ؛ وكما أن الله سبحانه قد أعطى من غير حساب من لا يخاف الفقر والنفاد ، وكذلك أمير المؤمنين أعطى من لا يخاف الفقر ونفاد الأموال ، عطاءً[9] خارجاً عن عطاء البشرية ، ومن ينظر الى أفعال أمير المؤمنين في الدنيا والدين بعين الحقيقة يجد كل ما فعله مع الخلق ، من الأمر والنهي ، والعطاء والمنع إنما كانت[10] اقتداءً بأفعال الله تعالى مما حير الخلق فيها ، لأنهم ينظرون الى أفعاله من خلال أفعال البشر ، ومما سمعوه منهم[11] وعلى ذلك يقيسون فعل أمير المؤمنين بالنسبة[12] لأفعال سائر الناس[13] وأفعال سائر الملوك ، أما ما رأوه وسمعوه ، وعقلوه فيرونه بخلاف ما

---

(١) سقطت من (آ)
(٢) سقطت من (ب)
(٣) في (آ) جميع
(٤) في (آ) لهم
(٥) في (ب) جاءت
(٦) في (آ) بحسب
(٧) في (آ) واعفاء
(٨) في (ب) يقظان
(٩) في (آ) إعطاء
(١٠) سقطت من (ب)
(١١) سقطت من (آ)
(١٢) سقطت من (آ)
(١٣) في (آ) الخلق

اعتادوا وجبلوا عليه ، فيقعوا في الحيرة والاضطراب ، والتفكر والتأمل[1] ، ولو نظروا الى ذلك من خلال[2] أفعال الله تعالى مع خلقه ، لكان ذلك هيناً عليهم ، وإنما وجدوه صعباً عليهم ، لأنه لم يأتِ[3] بمثله من لدن آدم الى يومنا هذا أحد ؛ وأنه قام في وقت بجزء قليل منه[4] كما يروى عن فعل العالم مع موسى ؛ الذي نظر الى فعله من فعل نفسه وعلمه وعقله ؛ فلو نظر الى ذلك من خلال[5] أفعال الله عز وجل لكان على خلاف ما ذهب اليه ؛ وما يروى[6] عن حكم داؤد ، لمَّا أمره الله فتحير ودهش ، من حديث صاحب الكرم ، وصاحب الثور ، فأخبر الله عز وجل في قوله : ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إلى شَيْءٍ نُكُرٍ . خُشَّعاً أبْصَارُهُمْ[7] ﴾ وقال تعالى ﴿ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ[8] ﴾ ، والعجب من هؤلاء القوم أنهم لا يطيقون مثل[9] هذه الأفعال الدنياوية ، فكيف يطيقون الابتداء في الأمور الدينية . والابتداء بالأشياء أصعب من ذلك ، لأن كل ما يوجد في الوسط يكون معدوماً في الطرفين ، والقوم يقيسون الأمور على ما رأوا في الوسط وهم في الطرف ، لأجل ذلك تحيروا ، وما[10] قدروا على احتمال هذا ، ولا صبروا عليه ؛ ونقول : عندما لاحظ الناس أن عطايا الملوك لا تكون إلاَّ لواجب خدمة ، أو لقربه ، أو لحق وجب ، أو لمحبة[11]، أو لحاجة ، أو لجر منفعة ، أو لدفع مضرة ، أو لأسباب

---

(١) سقطت من (ب)
(٢) سقطت من (آ)
(٣) في (ب) يقوم
(٤) سقطت من (آ)
(٥) سقطت من (آ)
(٦) في (آ) يحكى
(٧) سورة ٥٤/ ٦، ٧
(٨) سورة ٦٨/ ٤٢
(٩) سقطت من (ب)
(١٠) في (آ) مما
(١١) سقطت من (آ)

داعية أوجبت ذلك ، لمن يخافون شره ، أو يرجون خيره ، أو تقديراً لشأنه ،[1] أو طلباً لمدح أو لثناء ، أو لمباهاة ، أو لطلب شكر أو منة ، أو أجرة لعامل ورزق له ، وكل ذلك يكون بتقدير وحساب ، أما عطايا أمير المؤمنين فهي خارجة عن كل هذه العطايا ، لذا لا تسمى كرماً ، ولا فضلاً ، ولا جوداً وإنما هي لقضاء واجب لما مضى ، أو اعطاء سلف لمستقبل[2] ، ويعتبر منع الواجبات ، وقضاء الحقوق والحاجات لوماً وبخلاً ، ومن أسلف مالاً لغرض مستقبل ، لا يعد جوداً ولا كرماً ؛ وعطاء الله تعالى خارج عن جميع ذلك[3] ، لأنه ليس لأحد على الله ايجاب شيء ، ولا يطلب الله من الخلق عوضاً عن ذلك ، وكذلك حكاية[4] أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﴿لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً[5]﴾ بل يعطيهم ابتداءً ، وجوداً ، أو كرماً وفضلاً ، اقتداءً منه بفعل الله تعالى مع خلقه ، ولو نظروا الى أفعال أمير المؤمنين بهذه العين لما وقعوا في التحيز ، ولا كان بعضهم ينظر إليه بعين التقصير والقياس على أفعال سائر الخلق[6] ، وينظر بعضهم بعين الغلو فيدعون له بالألوهية ؛ بينما فعله خارج عن كلا الوجهين ، لأنه هو الخليفة الكلي لله تعالى على عباده ؛ وكما أن الله تعالى ستر أسباب الدنيا عن[7] الخلق ، وبيَّن أسباب الدين والوصول اليه ، وبيَّن أسباب رضاه وشرحه على لسان نبيه[8] ، وأعطى العلم والحكمة ، ومنعهما عن غير أهلهما ، وجعل بين أيديهم[9] سداً ، ومن خلفهم سداً ، ونسب أسبابها ، وفتح أبوابها ليصل اليها مستحقها[10]، ويخسرها من لا يستحقها ، وذلك حكمة بالغة

---

(١) في (ب) له
(٢) في (آ) مقبل
(٣) في (ب) هذا
(٤) سقطت من (ب)
(٥) سورة ٧٦/ ٩
(٦) في (آ) البشر
(٧) في (ب) من
(٨) في (آ) رسوله
(٩) في (ب) بينهم
(١٠) في (آ) أهلها

منه ، وكذلك ستر أمير المؤمنين أسباب الدنيا ، والوصول اليها من جهة[1] ، وأعطاها لمستحقها وغير مستحقها ، وبيّن أسباب الدين والحكمة ، والعلم[2] ، وأعطاها لأهلها ومستحقها من غير منة ولا بخل ، وأنعم على الخلق ، وأفاض عليهم ما لم يفض به أحد في سائر الأوقات والأزمان[3] ، ومنع ذلك من أهله ، وميز أهل الحق عن أهل الباطل ، اقتداءً بفعل الله تعالى وآدابه في سياسة الدنيا والدين ، وعمارة الآخرة والأولى .

نسأل الله أن يوزعنا شكر ما أنعم عليه، قولاً وفعلاً، ونية، ويوفقنا للقيام بطاعة ولي العصر والزمان[4]، ويرزقنا الجهاد بين يديه باليد واللسان والقلب، وأن يفتح له مشارق الأرض ومغاربها حتى يطهر بسيفه الأرض من الكفر والشرك والنفاق، بمنه وطوله، ويسأل العبد ويرغب في أنعام أمير المؤمنين، ويلتمس الأمر العالي بالنظر فيما جمعه العبد، وألفه، والاجازة له على[5] الصحيح والصواب، منها التنبه على الخطأ، إن كان فيها، ليشكر العبد ويزيد له في البصيرة واليقين، ويكون ذلك هداية للمرشدين[6]، وحجة على الجاحدين، والحمدلله حمد الشاكرين الذاكرين القانتين، والصلاة على رسوله سيدنا محمد وآله أجمعين.

تمت[7]

---

(١) في (ب) ناحية
(٢) في (آ) الفهم
(٣) سقطت من (آ)
(٤) سقطت من (ب)
(٥) في (آ) من
(٦) في (ب) الراشدين
(٧) سقطت من (ب)

وقد وقع الفراغ من نسخ هذا الكتاب المسمى بإثبات الإمامة لسيدنا أحمد نيسابوري قدس الله روحه ورزقنا شفاعته وأنسه في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان الكريم ثمان وأربعون ومائتين بعد ألف سنة كتبه أقل الأقلين، وأحقر الأحقرين محمد بن حسن بن علي بن أحمد البدخشاني، ثبته الله تعالى على طاعته، وطاعة رسوله وطاعة وصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعلى طاعة الأئمة الأطهار من آله الأبرار وعلى طاعة دعاتهم الأخيار وصلوات الله عليهم أجمعين

.

والحمد لله رب العالمين

فهرست